النبراس

١٦ شوال سنة ١٣٢٨ = الموافق ٢٠ تشرين الاول سنة ١٩١٠

الاجتماع والعمران

الافراد والجماعات

وهي المحاضرة التي القاها ارتجالاً السيد عبد الحميد افندي الزهراوي مبعوث حماه في الحفلة التي اقامتها جمعية المشروع الخيري العلمي في بيروت ، وقد كتب ما كان يلقيه الاستاذ من الدرر عبد الغنى افندي العريسي صاحب جريدة المفيد

***

حيا الله هذا الجمع الشريف ، وايد بهم هذا الوطن العزيز ، واعاد الى هذه الامة بهذه الهمم مجدها السالف ، وصان هذه المدنية الزاهرة المونقة في رياض هـذه الدولة ايدها الله

ايها السادة !

اني لم آت في الحقيقة لالقي خطبة وانما قدمت لاقدم شكري للبيروتيين الذين شرفوني بان اقف امامهم موقف الخطيب

لقد سبق عليّ فضلهم فاغتنمت هذه الفرصة لتقديم شكري الجزيل عَلَى

معروفهم السابق الجميل

وقد خطر لي ان أُذكّر في هذا الموقف برابطة الافراد والجماعات ولستم بالناسين ، ولكن وظيفة الخطيب ان يقول شيئاً ولو لم يكن بالجديد فارجو عفواً

لقد كثر في هذا العصر ان يصطلح الكتاب ويأتوا بالفاظ جديدة مثل التقدم والترقي والارتقاء والغيرة والحمية وما اشبه هـذه الكلمات ، وقد كان يأتي مقام هذه في كلام سلفنا الفوز والفلاح والصلاح

ان مطلب كل امة وكل فرد في هذه الحياة شيء واحد هو الفلاح ، والقرآن المجيد في كثير من المواطن يعلل حكمة حثه ايانا عَلَى الاعمال الصالحة بقوله « لعلكم تفلحون »

نعم ان الفلاح هو مطلوب الجميع ولكن اكثر الناس لا يهتدون الى سبيله ولذلك تنحط الامم وتنحط الافراد ويعيش اكثر الناس منغصين في معايشهم ، والانحطاط ناشيء في الغالب نسيان العلاقة بين الافراد والجماعات

الفرد في هذه الحياة يخلق لاجل غيره ولاجل نفسه فينسى انه مخلوق لاجل غيره ويحصر همه ويفرغ كل زمانه لانْ يعمل لنفسه ويفتكر لنفسه ،ولو تذكر الاولى وهو انه مخلوق لاجل غيره لافلح

الفرد مربوط بعدة جماعات ولاترتقي الافراد الا اذا اشتغلت للجماعات ولا ترتقي الجماعات الا بافراد يعملون لها

فالجماعات التي تحرم من هؤلاء الافراد تبقى منحطة والافراد الذين يعيشون لا لجماعتهم يبقون منحطين

الجماعات عَلَى نوعين جماعات تكوُّنها ساذج فطري وجماعات تكوُّنها بعمل وبذل همم

فاول الجماعات من القسم الاول العائلة ، هذه تتكوّن بالفطرة التي فطر الله الناس عليها

ان الرجل الذي يفتكر بعائلته رجل شريف ، والعائلة التي تفكّر بفردها عائلة شريفة ، ومن ضعف حسه نحو عائلته فان الشرف بوادٍ وهو في واد

لقد ذكرني بهذا المعنى رجل عرفته يجيد نظم الشعر ودرس من التاريخ شيئاً ويصح ان يسمى بالجملة عالماً ، اما من جهة الاخلاق فلا اجد تعبيراً ابلغ لوصفه من قولنا وهو في غاية الانحطاط

بحثت عن السر وسألت آخر ممن يعرفونه فقال لا تعجب ،هذا رجل لا علاقة ولا رابطة له بشيء من الاشياء فلا اب له ولا ام ولا اخ ولا اخت وهو لا يملك شيئاً فلا يستحي ان يمس شرفه ولا يبالي بمستقبل نفسه ولا بعائلته و «اذا لم تستح فاصنع ما شئت»

هذا رجل قوّى في نفسي ان الذين لا عوائل لهم اقرب الى الانحطاط من سائر الناس لانهم لم يتعودوا الرابطة الاولى ، والذين لهم عائلات وليس لهم روابط قوية هم اقرب الى الرذائل ايضاً فلذلك يجب ان نتذكر ان هذه الجماعة الاولى يعني العائلة ينبغي ان نفتكر بها جيداً فانها هي الخطوة الاولى في الحياة وفي السير الى المجد والشرف والارتقاء ، لان الامة تتألف من الجماعات وجماعاتها الاولى العائلة ونحن لا نبحث عن تشريحها اللغوي بتاتاً فهي بحسب العرف جماعة صغيرة تتألف من والدين وذوي قربى وبنين وبنات ، فلاجل ان يكون للعائلة شرف ينبغي ان تكون الرابطة بين افرادها قوية ولاجل تقوية هذه الرابطة ينبغي ان نذكّر بها دائماً ونبث فيها التربية الزكية وينبغي لكتابنا وعلمائنا ومدرسينا ان يأتوا بالاساليب المقوية للعائلات من دينية وعقلية والقرآن المجيد كافل لهذا المعنى فانه

كم يوصي بالوالدين احساناً وبالبنين تربية حسنة وكذلك السيرة النبوية

ولكن الناس متفاوتون بالفهم كثيراً والنسيان يسرع حالا الى اكثرهم فينبغي ان ُيعنى بتربية الملكات والعواطف طبقة منهم كالوعاظ والخطباء والكتبة ويدأبوا عليها

وان اعظم شيء فيما اظن يقوّي روابط العائلات هو تذكُّر انه لا يليق بالحي الا ان يكون عضواً نافعاً غير مهمل ، فمتى اعتقد المرء بنفسه كذلك تذكَّر ان عليه ان يصلح ما لديه من ولد وزوجة ويجعلهم نافعين صالحين

فاذا كثر تذكرنا والنصح والتأليف والكتابة بهذا الصدد يصبح مستقبلنا في تربية هذه الروابط احسن من ماضينا ماضي الجهل ولعب الاولاد في الازقة وماضي جهل البنات بتدبير المنزل وجهل الوالدين بحفظ صحة البنين

نعم يكون المستقبل خيراً من الماضي بفضل تقوية هذه الروابط ، وحسبكم شاهداً ان هذه الروابط لما قويت في امة الانكليز كانت من الرقي ومن حسن السلوك في الحياة علَى ما تعلمون ويصح ان نختم هذا القسم موضوعنا بالحث علَى تعليم البنات فان الام هي المربية الاولى

نقول تعليم البنات وينبغي ان نحصر ونحدد هذا التعليم لانه كلمة مطلقة والكلمات المطلقة لا يصح ان ترسل إرسالاً ، بل ينبغي تحديدها

بناتنا يجب ان يتعلمن تدبير المنزل وامور دينهنَّ ولست ادري لماذا لا يعلمونهن قواعد اللغة العربية ايضاً وتاريخنا المجيد والسيرة النبوية كما يجب وكما ينبغي . اما تعليمهن لغات الاجانب فلا اجد له معنى وهذا الموضوع في حد ذاته يستحق كلاماً كثيراً ولو اقتصرنا عليه لكان الكلام يمدُّ بعضه بعضاً ولكن امامنا اقسام اخرى من الموضوع

قلنا ان الجماعة الاولى التي تكوّنها ساذج فطري هي العائلة ، واما الجماعة الثانية فهي جماعة الجوار . فالجوار يحدث جماعة في المحلة ، جماعة في البلد ، جماعة في الاقليم فاهل المحلة جماعة في بلدهم بالنسبة للبلد واهل البلد جماعة بالنسبة للاقليم واهل الاقليم جماعة بالنسبة للدنيا

ومن مقتضى الجوار في الغالب وحدة اللغة وقد آثرت ان أُسميه بجماعة الجوار عَلَى تسميته بجماعة اللغة او جماعة الجنس لحكمة وهي ان الجماعة انما يرتبط بها الفرد لما بينه وبينها من التعاون ، واي جماعة اقدر عَلَى معاونة الرجل مما يجاورونه ؟ واي رابطة احق ان تحكم من رابطة الجوار ؟ ولهذا اكثر النبي عليه الصلاة والسلام كما تعلمون من التوصية بالجار ، وقد رجحت هذا الاسم ايضاً لنكتة اخرى وهي ان المواطنين في البلد الواحد من سائر الاديان هم من جماعتنا لان الجوار يضمنا واياهم فاذا تذكرتم ما اوصى به النبي صلى الله عليه وسلم تتذكرون ما علينا من موآنسة مواطنينا ومن تقوية الرابطة معهم ، وانكم تعلمون ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يواسي اليهود وكان يقترض منهم وكان يعاملهم

الجوار رابطة اذا اهملنا النظر اليها اهملنا انفسنا واذا أحكمناها عملنا لانفسنا لان جارك اذا جعلته يعينك باخلاقك تكون قد اخذت قوة تدفع بها كيد من يريد بك كيداً ، واذا اسأت الاستعمال وفككت الرابطة وجعلت قلبه في بعدٍ عنك اصبحت كالعدم بالنسبة اليك ، وانكم تعلمون مقدار ضعف الانسان واحتياجه للتعاون

فمن تذكر ضعفه ونقصه عرف قيمة الجوار وتذكر دائماً وجوب احكامه وإتقانه ، فان اهل البلد الواحد بحكم الجوار هم كالعائلة الواحدة

الجماعة الثالثة من هذا القسم هي جماعة اللغة والاقليم وهذا يصح ان ندخله

من حيث الجوار او نفرده ونجعله عَلَى حدة لان الاقليم قد يكون مختلفاً اهله باللغات ، ولكن بينهم رابطة عظيمة باعتبار ان منفعتهم واحدة وان صديقهم واحد وان عدوهم واحد ، فالاقليم الواحد يكون جماعة متضامنة في الغالب بسبب اللغة او بسبب الاشتراك في المصالح واضدادها

القسم الثاني من موضوعنا الجماعات التي تتكون بالعمل و بذل الهمم فنعد منها ثلاث جماعات

الجماعة الاولى جماعة الدين — الدين من حيث هو بصرف النظر عن دين ودينٍ رابطةٌ تجمع كثيرين لا عدّ لهم بجامعة واحدة عَلَى اختلاف اجناسهم ولغاتهم وديارهم ومشاربهم وعاداتهم ، تجمع الرجل من اقصى الشرق الى الرجل من اقصى الغرب تجمع الجنس الابيض الى الجنس الاسود تجمع احط الشعوب واعرقها في الجهل باعرقها في المدنية . هذا هو الدين من حيث هو

كيف تتكون هذه الرابطة ؟ — يكاد الفكر يحار في كيفية تكوّن الرابطة العظمى الدينية لانكم اذا نظرتم ٤٥٠ مليوناً في الصين واردتم ان تدركوا هذا السر من طريق الفلسفة تحارون كيف اتفق هذا الجمع

هذا امر يصعب حله من طريق العقل والفلسفة ويجب فيه علينا التسليم والاذعان الى ما خبأ الله من الاسرار العظمى ، فان الله ابان انه سرٌ من اسراره بقوله « ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة » بمعنى انه لم يشاء جعلهم امة واحدة . نعم ان الباري خلق الناس واودع فيهم اسراراً لا ينبغي ان نطمع في حلها لاننا لا نستطيع . ومن هذه الاسرار اتفاق عدد كبير عَلَى رأي واحد بصرف النظر عن انه صحيح ام غير صحيح ولكن مع هذا لا يصح ان ننسى ان الاديان بذلت كل همم في سبيل نشرها ونصرها

بعد ان نصرف النظر عن البحث في صحة تلك الاديان او غير صحتها نلتفت الى ما انعم الله علينا من نعمة الاسلام ونقول ان الرابطة العظمى بين المسلمين لا تحل اسرار تكوّنها وقد جاءت بواسطة السيد الاعظم صلى الله عليه وسلم ٠

الجماعة الثانية جماعة الحكومات فهي تحدث بعمل فرد او افراد ، وتجمع حول لوائها امماً كثيرة تجعل مصالحهم واحدة وقانونهم واحداً وملاذهم واحداً فتوحدهم كمال التوحيد حتى يصير الكبير والبعيد علَى حد سواء في طلب العدل وحفظ الحقوق الى مرجع واحد ، وهذه نعمة لا يستهان بها لان الله سبحانه يقول « ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ لهدّمت صوامع وبيع » يعنى ان الله يدفع الناس عن بعضهم بواسطة بعض ، وبديهي ان الوازع الاعظم هو الحكومة فلولا الحكومات لتغلب الكبير علَى الصغير ولما رأينا علوماً وبلداناً ، ولولاها لكان الناس انعاماً

الجماعة الثالثة الجمعيات فانها تتكون بعمل الناس ٠ ولقد كان اسم الجمعية قبل الانقلاب جرماً ووصلت الحال الى النفرة من كلمة الجمعية والجماعة والاجتماع وظل الناس سائرين كل واحد في سبيل

وكان من اعظم الفلسفة واكبر الحكم في تلك الايام قولهم : « ماذا يعنيني » واعظم الوصايا اذا رأى الواحد في الآخر اريحية للعمل في سبيل العموم وميلاً الى خدمة الجماعة : « دع مالا يعنيك »

يا للعجب كيف لا يعني الانسان ان يفتكر بجماعته وان يكون عضواً نافعاً لعائلته واهله ودينه وملته ودولته ٠ لقد اساؤوا في تفسير هذه الكلمة وسموا كل شيء من خدمة الغير « لا يعني » مع ان تفكك الروابط واهتمام كل شخص بنفسه يدهورنا في هاوية لا يعلم آخرها الا الله

اتعلمون انه لولا الانقلاب الذي اوجد املاً جديداً لتدهورت كل هذه الجماعات في هوة نعوذ بالله منها

يصح ان اخبركم ان مكدونية علَى شفا الزوال وان اليمن كانت تسمى مسلخاً وان مدينتكم هذه العامرة لم يكن فيها مدارس الا للاجانب وان الداخلية كانت هي والبادية علَى حد سواء · الفتن في نجد والثوائر في اليمن وزلازل الدسائس في مكدونية والاضطراب فى الاستانة وفساد الاخلاق عام سرى من الاستانة الى هذه البلاد في السنين الاخيرة ولو تمادى الامر لاصبحنا في حالة من فساد الاخلاق لا توصف · كل هذا والناس اذا قام فيهم رجل يقول الى اين نحن سائرون ؟ الى متى ؟ ماذا العمل ؟ لا يكوب جواب والده او صديقه مثلاً الا « دع ما لا يعنيك » فهل التذكر او التفكر في عاقبة امرنا مما لا يعنينا ؟؟؟

كانت الجمعيات منفوراً منها فلا يجسر احد على التلفظ بها ولكن كان ضمن هذا المحيط المظلم وهذه القيود والاغلال نفر من الناس يهتمون و يرفسون بارجلهم اعتراض المعترض ولو صديقاً او قريناً و يزجون بانفسهم في الغمار لتدارك الامر و يفتكرون بماذا يجب ان نعمل · هؤلاء هم من العرب والترك والذين يزعمون ان الترك قد انفردوا فهم مخطئون والعكس بالعكس · العرب والترك اشتغلوا بالانقلاب والجيش هو من الترك والعرب وحملة الاقلام من الترك والعرب في باريس كانت زمرة وفي مصر واميركا جماعة وفي العراق فريق بل الهند وايران لم تخلوا من رجال يهيئون الناس للدستور، ولذلك لم يسمع الناس نبأة الدستور الا وهبوا للترحيب به واخذوه علَى صدورهم والا فلو ان الناس لم تهيء نفوسهم لهذا الامر الجديد لتلقوه ببرودة ولو كان كذلك لما كانت عواقبه كما نأمل الآن فاليوم لنا امل عظيم واصبح مجالنا واسعاً بان نفتكر في شؤوننا ونسعى لها

سعيها فقد اصبحنا بعد الانقلاب نقدر عَلَى تأسيس الجمعيات واقامة اجتماعات ، ولكن احب ان اذكركم باننا لا نزال في مبدأ تربية سياسية جديدة ولذلك لا يتقن اكثرنا تكوين الجماعات المسمات بالجمعيات ، وهذا نقص ينبغي ان نتلافاه ولا ننساه فان الاعمال الخيرية لا تقوم الا بالجماعات والاعمال الادبية لا تقوم الا بالجماعات والاعمال السياسية لا تقوم الا بالجماعات

في عامين لا ينبغي ان نطمع في ان تكون تربيتنا الاجتماعية نضجت فانا شاهدنا ان التربية في العثمانيين كلهم واحدة عَلَى اختلاف اجناسهم فهم لا يزالون ضعيفين في الاعمال الاجتماعية وفي آداب الاجتماع العمومي واعني به الروابط للجماعات التي ذكرتها . لا تزال الروابط في العائلات غير منظمة ورابطة الجوار غير متقنه ورابطة اللغة والاقليم غير محكمة ورابطة الدين ضعيفة ورابطة الجمعيات غير متينة ، كل ذلك يوجب التذكر والتفكر . وماذا نتذكر وبماذا نفتكر ؟

ينبغي ان نتذكر ان ضعف هذه الروابط له بعدٌ ، كما ان لكل يوم غداً ، واننا اذا لم نتلافَ النقص يتغلب من الناس غيرُ الصالحين

اذا اهملنا امر الجماعة فبعد ايام نشكو ولكن الشكوى لا تنفع . ماذا ينفع المريض انينه ، انفعُ له ان يبحث عن الطبيب والعلاج

اذكركم برابطة الدين برابطة الحكومة برابطة الجوار برابطة الجمعيات ينبغي ان نتقنها واذا كان هذا النقص مرضاً ينبغي معالجته والعلاج ليس صعباً .

اذا قلنا ان العلم وحده هو العلاج نكون قد اتينا بكلام مبهم فلنعمل عَلَى التربية مع العلم وينبغي ان نضع امامنا قولنا : ان الامم بافرادها والافراد بامها وعن هذا يقول القرآن الكريم : « ولتكنْ منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »

ينبغي ان يكون في الامة افراد يلتهبون غيرة وحمية عَلَى جماعاتهم وينبغي للجماعات ان لا تنسى انفسها والافراد الذين يشتغلون لها ، فالجماعات ينبغي ان تساعد الافراد والافراد الذين خلق الله فيهم استعداداً لخدمة جماعاتهم ينبغي ان لا ينسوا جماعتهم

لعلي اسهبت واحب ان اختم الموضوع بشيء مهم وهوان الجماعات الصغيرة في الجماعات الكبيرة هي في حكم الافراد فنحن الجامعة الكبرى العثمانية ننفصل الى عناصر، فينبغي ان نتذكر ان الجامعة الكبرى هي بمثابة العائلة والصغيرة بمثابة الافراد فكما يجب ان تكون الروابط بين الجماعات الصغيرة قوية ينبغي ان تكون محكمة ايضاً مع الجماعات الكبيرة لان العثمانية اصبحت كعائلة واحدة

واشير الى مسألة اخرى مهمة وهي ان دولتنا متدينة بالاسلام المبين ، فعلى المسلم ان يعرف ان هذا الدين دين تسامح وتساهل اوصى بالجوار وحفظ العهد وهو الدين الذي سمح لاحد ابناء الخلفاء الشريف الرضي ان يرثي صابئياً بقوله:

ارأيت من حملوا عَلَى الاعواد ارأيت كيف خبا ضياء النادِ

وانكم تعلمون ان الشريف الرضي احد ابناء الخلفاء العظام كان من الورع والتقوى عَلَى جانب عظيم

انظروا الى هذا التساهل والادب مع المجاورين وايدوا دولتكم بهذه المبادىء الاسلامية

اقول ذلك لا لانكم ناسون بل ليؤثر ويعاد ويكرّر حتى تتربى في النفوس العواطف الراقية والروابط التي تقوّي هذا الوطن العزيز

الاديان السماوية من حيث هي متقاربة فسيدنا المسيح عليه السلام قد اشتهر عنه انه كان يحث عَلَى العفو عن المسيئين وهذا هو القرآن المجيد يقول

« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » « وان تعفو هو اقرب للتقوى »

واما وظيفة غير المسلم فعليه ان يعلم ان تدين هذه الدولة بدين لا يمنعها ان تنظر الى سائر شعوبها بنظر الحنان والرحمة وان تنصفهم علَى حد سواء

لا يستطيع احد في الارض ان يقول : ان دين هذه الدولة يأمرها بان تظلم احداً من غير المسلمين وانه يمنع من جواز استشارتهم ·

ولا ينبغي ان نلقي سمعاً للذين يقولون ان تدين هذه الدولة عثرة في سبيل ارتقائها · ان هذا الدين هو دين اولئك الذين فتحوا الارض بلمح البصر ، فكيف يكون مانعاً من الترقي وياليتهم يأتوننا بمثال يصح ان يقال به مانع للارتقاء · ولماذا ينقمون علَى هذه الدولة تدينها ودول الارض كلها متدينة وليس بينها الا دولة واحدة نبذت الدين من عهد حديث · ولكن مما ينبغي ان يُفطن له هو ان بين تدين تلك الدولة ودولتنا فرقاً كبيراً فدين تلك دين آداب وعقيدة ، واما دين هذه الدولة فدين قوانين واجتماع ، واذا هذب الفقه الاسلامي كالمجلة يصبح يبهر الابصار ، فلماذا يتمنون ان تترك الدولة ديناً يساعد العقل بما فيه من الشرائع والآداب الراقية ؟؟؟

ان هذه الاحلام والوساوس ناشئة عن نقص في العلم ، وماذا يعرف هؤلاء المتشدقون عن تاريخ الاسلام لعلهم لا يعرفون الا رجلين او ثلاثة من الاسلام ونسوا ان للاسلام تاريخاً مجيداً وعلوماً لو عرفوا حقها لتعشقوه

اذكركم بهذه المناسبة برجل فاضل لا يعتقد بالاديان ولكنه يمجد هذا الدين من حيث انه اجتماعي وهو الدكتور شبلي افندي شميل صاحب الابيات الشهيرة بمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو رجل من الصدق علَى جانب عظيم واذا كان

عَلَى وجه الارض رجال لا ينافقون ولا يداجون فهو في طليعتهم

والذي يجب هو ان ننصح بلطف لكل من يظن ان تدين دولتنا منافٍ للعدل ومانع للترقي

وفي الختام نضرع الى الله ان يؤيد سلطاننا المحبوب محمد رشاد خان ، وان يوفق كل العاملين لخير هذه الدولة من القوة الاجرائية والقوة التقنينية والولاة والعمال والعلماء والكتاب والافراد والجماعات الذين وقفوا انفسهم للتفكر في مصلحة اخوانهم وجماعتهم

ونختم مقالنا بالشكر لجمعية المشروع الخيري العلمي التي تؤمل « بالمتليك » ان تخدم جماعتها والسلام

رنة اسى

وهي القصيدة التي نظمها الشيخ محي الدين افندي الخياط وتليت في حفلة الجمعية السالفة الذكر

بكيت حتى هوى من انملي القلم — وكدت اجري ويجري والدموع دمُ
ابكي عَلَى الظعن لا رسم ولا طلل — واندب الركب لا ربع ولا خيم
ان الربوع ربوع القوم من مضر — تضاءلت بعدها الاطلال والرسم
رسم محيل وآثار مصردة — اقوى بها الاقويان الدهر والقدم
اخنى عليها الذي اخنى عَلَى لبد — حتى استوت عندها الاجراع والاكم
اهبت فيها اناغي الشرق مضطرباً — والقلب مصطهر والجسم مضطرم
استنزف الحمم الدكناء من كبدي — فتستحيل دماً في اعيني الحمم
تغلي مراجل اضلاعي فاقذفها — هذا البخار وذاك الباخر الرذم

***

استنشد الكتب لا سفح ولا كثب — وانشد العلم لا بان ولا علم

ياشرق شرق العلى رحماك هل بليت … تلك اليوافيخ او ابلى بها الهرم
تلك اليوافيخ كان الدهر دائرة … وهن اطلسها الدوار لا القمم
تلك اليوافيخ كان الشرق ضاحية … وهن ديمتها الوطفاء لا الديم
هذي المعاهد فاستنطق هياكلها … تجبك (حالاً) ولكن نطقها بكم
لهفي عَلَى الشرق او لهفي عَلَى امم … كانت تدين لها الاجيال والامم

***

عفواً بناة العلى في عقر داركم … عقرتم المجد لا عهد ولا ذمم
اين العقول التي كانت اذا اعتقلت … تضوى بها البيض او تجلى بها الظلم
ملكتم المرهفين السيف منصلتاً … ما استل الا ومنه المجد مستلم
واقتدتم القلم السيال منبرياً … ما سال الا وساد القسط والسلم
شجواً عَلَى السيف او شجواً عَلَى قلم … اصبحتم اليوم لا سيف ولا قلم
عداكم العسف لا عير ولا وتد … اين الاباء واين العز والشمم
لم يبق غير رنين الثاكلات لكم … فاين قيثارة الالحان والنغم

***

مهلاً رويداً بنى التاميز لا هلعا … لم يبق للنيل الا مقول وفم
ويا بني الغرب لا خوف ولا جزع … لم يبق للشرق الا النوح والالم
فلا ترعكم بهذا الشرق جامعة … فالجمع مفترق والحبل منفصم
ولا يهولنكم ما في جرائده … فتلك تاجرة والسلعة الكلم
كم مرعد فيه بالاقوال مبترم … لكنه ان دعي الرعديد والبرم
ومرتد بردة الاخلاص مسهمة … لكنها السهم فيه السم لا الدسم
هل الشجاعة يا شرقي في فقر … ام صين للطرس منك البأس والكرم
تجود بالقصف ما يرمي بقاصفة … وانت في الجود ذاك الاقصف الجلم
تخرص بنهوض دون عدته … خلابة الحلم غرار بها الحلم
ايطمح الشرق ان يرقى وموقفه … (شهب البزاة سواء فيه والرخم)
او يستوي فوق عرش المجد مجتمع … (اذا استوت عنده الانوار والظلم)
وهل يسود اناس اصبحوا شذراً … وجلهم ما له هم ولا سدم

هذي نواميس هذا الكون شاهدة   لها الوجود يزكي والنهى حكم

***

حمى واشنطون حياك الحيا ديما   منهلة وحماك الحزم لا الحزم
لم تشدخ العلم الخفاق في علم   الا وللعلم خفاقا علا علم
وما هدمت الصياصي قبل ان بنيت   تلك الصياصي صياصى العلم لا الاطم
وضعت للسير في سبل الخلاص صوى   زهراً فكل سبيل واضح لقم
فكان جيشك جيش النور محتشداً   يقوده كل قرم للعلا قرم
وكل مصطدم للجهل مصطلم   يرعاه ملتئم بالعدل ملتئم
حتى افترعت هضاب العز سامقة   واستنزلت لك تلك الرتك العصم
ونلت بالعلم والميزان ما انخذلت   عنه العوالي واخذى الاشطب الخذم

***

سمعت للشرق في الآراد هينمة   يسامر الزهر فيها وهي تضطرم
سيارة الافق ما ذنبي اليك وما   جنيت يا فلكاً دارت به الامم
ويا ثوابت ما للزهر مطلعها   بالغرب لألأة والغرب يبتسم
وانت يا قطب قل لي كيف تتركها   فوضى تدور ولا حكم ولا حكم
اني انا الشرق شرق العلم من قدم   والغرب لو كان غرب البيض منثلم

***

فهينمت من بنات الافق ناصعة   ونورها ينضوي طوراً ويتسم
كنتم وكانت ديار الشرق تنشدكم   (قف بالديار التي لم يعفها القدم)
فاصبحت والبلى عفى معالمها   (بلى وغيرها الارواح والديم)
وصاح منها صدى يدوي بشرقكم   لكن بنو الشرق في آذانهم صمم
يقول شرق اتئد لاتنقض من جزع   الشرق شرق ولكن غيرها الامم

خطاب في التضامن والتكافل

القاه الشيخ محمد سليم افندي البابا في حفلة جمعية المشروع الخيري العلمي المذكورة

اخواني الكرام !

ما خلق الله خلقاً اوسع تضامناً واشدّ تكافلاً من أُمتي النمل والنحل ، فان نظام التضامن والتكافل عندهما ثابت لا يمحوه لسان المطامع ، ولا نقوى عَلَى تمزيقه ايدي تنازع البقاء والمنافع ، فالمطامع وتنازع البقاء عقبتان كؤودان ، بل سدان منيعان دون ائتلاف واتفاق الناس اجمعين

ان المطامع وهي المحلل الكيماوي لاجزاء الائتلاف والاتفاق لا تليق الا بالسباع الاهلية ، واما تنازع البقاء وهو ادغام بقاء الآخر في بقائك لا يجدر بالانسان ، بل يجدر بالسمك والحيتان ، فلوزالت هاتان العقبتان من طريق الانسانية لكان المجموع سعيداً كاولئك السعداء الذين يسكنون مدينة السعادة التي رآها في منامه صاحب النظرات ، وما هي عندي الا قرية النمل او خليّة النحل ، فهنيئاً لتينك الامتين اللتين لم تجد شياطين المطامع وابالس التنازع الى الوسوسة في صدورها سبيلاً — وا أسفاً علينا لانها وجدت الى صدورنا سبيلاً سلكتها من باب الحرص وحب الذات ، فالطمع وتنازع البقاء ليسا سنتين لا تتبدلان كما يتوهم البعض ، بل هما من جملة الخصال الذميمة القديمة العهد في الانسان التي لم يقل عنها احد بانها سنن لا تتبدل ولا تتغير

يظن كثير ممن اعتادوا تأويل الآيات القرآنية عَلَى حسب فهومهم القاصرة اذا مرّوا بآية « ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » ان معنى الآية الشريفة ان الله تعالى خلق البشر مطبوعين بطابع الاختلاف فلا سبيل الى اتفاقهم البتة ، فمن يحاول ان يجمع شتاتهم كان كمن يحاول ان يجمع بين الضب والنون ، فنقول : كلاّ ، ان الله تعالى لا يعقل ان يخلق البشر ويرضى منهم ان يكونوا مختلفين متباعدين ، وهو القائل : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، » والقائل : « ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » وانما معنى الآية الكريمة ان الله تعالى خلق خلائق لا تحصى وطبعهم بما اراد الا الانسان فانه لم يطبعه بطابع بل تركه كصحيفة بيضاء يخطها بيمينه حراً مختاراً وعَلَى حسبها حسابه . ولما كان قد خلقه كذلك

تفاوتت العقول واختلفت المشارب فارتفع قوم بجدهم وانحط آخرون بجمودهم ، وتسلط الانسان عَلَى الانسان ، وتصرّف فيه تصرف الراكب بركوبته والحالب بحلوبته ، فراجت المطامع وتنازع البقاء رواجاً جعل الناس مختلفين ، ولا يزالون كذلك حتى ينزعوهما من صدورهم وهم قادرون عَلَى ذلك بما أُوتوه من قوة العقل ، وهو رحمة من ربك ! عَلَى ان الله جلّ شأنه لو شاء ان يجعلهم امة واحدة لما اعجزه ذلك ، لكن سبقت كلمة ان يكون النوع الانساني حراً مختاراً ، ولذلك خلقه

يذكرنا الله تعالى بقوله لنا : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى » اننا اخوة لا يجمل بها ان تتقاطع وتتعادى وتتقاتل ويستعبد بعضها بعضاً ، وقد جعلنا امماً وشعوباً وقبائل وطوائف للتعارف لا للتخالف كما يتوهم الواهمون ، اذ لولا الانقسام المذكور ما عرف بعضنا بعضاً كما لا يعرف الحاسب خارج القسمة الا بالقسمة

فالتفرق الحاصل بيننا نحن الاخوة لم يكن الا بدسائس رؤساء الاديان وتسلط اساطين السياسة ، اولئك يلبون داعي الطمع وحب الرآسة ، وهؤلاء يجيبون منادي تنازع البقاء فيثيرون الحروب وييتمون الاطفال ويرملون النساء ، ويستتبع ذلك من الرزايا ما يجعل الامم المتحاربة والمتنازعة في اشد ضنك من العيش

فالناس والحالة هذه معمولون بعاملين قويين اصحاب الرآسة وارباب السياسة

بربك قل لي ما ضرّ رؤساء الاديان ان يجتمعوا ويتحابوا ويسعوا لاصلاح ذات البين بين افراد الطوائف ، اتمنعهم من ذلك اديانهم ؟ ام اطماعهم ؟ ام رآستهم ؟ فكفانا تفريقاً عَلَى حساب الاديان

ايها الرؤساء ! انتم علة العلل في تأخر الاوطان ، فما لنا نرى الاخوة الذين فرقتهم حصائد ألسنتكم ايدي سبا غير متكاتفين لاعلاء شأن الوطن

وانتم يا اساطين السياسة ! ان الناس اخوة ، فلا تضرموا بينهم نار العداوة والبغضاء لأجل تنازع البقاء حتى اذا سمحت لكم الفرص بالاستعمار او الاحتلال او الاستبداد نفختم تلكم النار فتنقلب ناراً حامية تصلي نفوساً لم تكن جانية . الا فانزعوا من صدوركم المطامع والتنازع فقد وصلنا الى درجة يا قساة القلوب نحسد معها الحيوانات العجم مثل النمل والنحل الا فارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء والسلام عَلَى من اتبع الهدى

الاخلاق والعادات

حديث مع النابتة

اذا اردت ان تستدل عَلَى مستقبل امة من الامم وتستعرف ما ستؤول اليه حالتها الاجتماعية والعمرانية والسياسية فابحث عن اخلاق شبانها ونقّب عن احوال نابتتها فتقتطف النتائج من هذه المقدمات ، لان نشء كل امة عنوان مستقبلها ومادة ترقيها، فان رأيت نبتاً مهذباً ونشأ متعلماً فأبشر بآتٍ حميد ومستقبل زاهر، و بشرها بان ستكون امة حية تنال طلباتها وتفوز برغباتها ، وان وجدت شباناً جاهلين ونابتة فاسدة الاخلاق سافلة المبادىء فاقرأ عليها آية التأخر ثم أنذرها بالخراب ، وحقق لها ان ستكون نهباً مقسماً تعبث بها ايدي اللاعبين ، حتى تكون عبرة للآخرين ، وتلك سنة الله في العالمين

تلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، فقد حكم وهو احكم الحاكمين انَّ الارض يرثها عباده الصالحون وينتزعها ممن لا يقدرها قدرها ولا يمشي في مناكبها مشية من يحسن استعمارها ويستورد خيراتها ، فالصالحون في هذا المقام هم من يعرفون كيف تؤكل الكتف ويدرون من اساليب العمران ما يؤهلهم لان يكونوا ورثاء الارض

فالامة التي يكثر متعلموها والمهذبون من شبانها هي الامة التي ستكون وارثة الارض والمالكة زمام استعمارها والقابضة عَلَى صولجان الامر والنهي فيها ، والامة التي لا تكون كذلك ستكون قيد الذل وتبقى خادمة لغيرها ممن هي اهل للاستعمار وجديرة بالحكم والشواهد عَلَى ذلك اكثر مما يحصيه القلم ويحيط به البرهان

واني ارى في الامة العثمانية نوراً ضئيلاً يبشرنا بان سيكون شمساً ساطعة يملأ نورها المشارق والمغارب ، واشاهد نهضة مباركة ستسلك بها سبيل الرشاد وتوردها موارد السداد ، لان الهمة في نشر المعارف مبذولة في كثير من البلدان ، والساعون في هذا العمل المجيد عَلَى قلة عددهم باذلون من الجد اقصاه ومن الاجتهاد منتهاه ، والامل ان يوفقوا الى ما يقصدون اليه في اقرب مدة ، اذا امدهم الاغنياء وساعدهم العقلاء وسهلت الحكومة لهم السبيل

وان اعظم مساعد لهم هم ارباب الثروة والغنى في كل قرية ومصر من البلدان العثمانية ، فان عَلَى المال المعوّل في كل شأن من الشؤون ولا نرى اغنياءنا الا فاعلين ان شاء الله

النهضة العثمانية مهما كانت عظيمة ومهما بلغت من التقدم فانها لا تفي بالحاجة اذا لم يكن في الامة قادة كبار متعلمون التعليم الراقي وعارفون باصول التربية والتعليم الحديثة، وليس لدينا من هؤلاء الا النذر اليسير الذي لا يقوم بجزء مما نحتاج اليه، لذلك وجب على الامة ان تختار من ابنائها من هم اهل فطنة واقدام واخلاق شريفة وتقذف بهم الى مدارس الغرب حيث ينالون منها قسطاً وافراً مما نحتاج اليه، ثم يرجعون الينا وقد ضربوا من العلوم والفنون وتطبيق العلم على العمل بسهام، على شرط ان يعودوا كما ذهبوا من غير ان تؤثر في نفوسهم عادات الغربيين واخلاقهم التي لا تمتزج بعاداتنا واخلاقنا، فليس كل ما يأتيه الغربي بنافع لنا، ورب عادات لاولئك القوم يعدونها من اصول المدنية ونعدها من فساد الاخلاق والتوحش الذي لا يطاق، فان العادة تختلف حسناً وقبحاً باختلاف الامة والبيئة التي تقطنها

ان بعض من يرحل الى الغرب تؤثر في نفسه عادات اهله واخلاقهم وسياستهم، فاذا رجع الى قومه اخذ يحدثهم بما رآه، وربما استحسن كثيراً مما نراه مخالفاً لاخلاقنا وعاداتنا وما فطرنا عليه من التعاليم الدينية، وبالطبع ليس ما استحسنه مما يجر نفعاً او يدرأ ضرراً، وانما هو مما نراه مدعاة التهتك ومجلبة فساد الاخلاق، ويراه الغربيون من تتمة المدنية ولوازم المتمدنين. والسر الذي يدعو بعض الراحلين الى الغرب الى استحسان ما قدمنا هو انهم لم يتربوا منذ نشأتهم تربية شرقية ولم يتعوّدوا الاخلاق الصحيحة ولم تغرس في نفوسهم اغراس الدين حتى تكون طبيعة من طبائعهم ولازمة من لوازمهم، وهذا نقص كبير في مدارسنا وبيوتنا يجب ان ينتبه اليه الآباء والمعلمون — وربما سبّب ذلك نفرة الناس واضاع كثيراً من الفوائد التي نتوخاها من الشبان الذين يهجرون ديارهم لتحصيل العلم

ان من نرسلهم الى الغرب لا نرسلهم لاكتساب اخلاق لا تتفق مع عاداتنا الشرقية واخلاقنا الملية، وانما نبعث بهم للعلم المجرد واكتساب ما ينفعنا في حياتنا الدنيا لا غير، لان ما لدينا من الاخلاق العالية والعادات الشريفة هو خير لنا وانفع لبيئتنا، ويجب ان نحتفظ به كل الاحتفاظ ونذود عن حياضه بكل قوانا، لان الامة التي لا تحافظ على عاداتها ولا تدافع عن اخلاقها لا يمضي عليها حين من الدهر حتى تكون كامس الدابر

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هُمُ ذهبت اخلاقهم ذهبوا

وليس ذهابهم واندثارهم هو محو مجموعهم المحسوس من لوح الوجود وانما هو اندماجهم في الامة التي يتخلقون باخلاقها ويستعيدون عاداتها، فذهابهم هو ذهاب قوميتهم بذهاب اخلاقهم واندثار لغتهم كما حصل لكثير من الامم التي داست عاداتها واخلاقها وتطورت

باطوار الامم المجاورة لها او التي تلقت العلم عنها او تزلفت اليها وما ذلك الا لضعف الاخلاق فيها او مرض الارادة التي هي سبب قوي لنهوض الامم، فاذا اراد الشبان الراحلون الى اوروبا ان يمحوا امتهم ويضيعوا قوميتهم فليكونوا كما يفعل البعض منهم ولا نخالهم فاعلين ذلك، واذا احبوا ان يحفظوا امتهم ويبقوا قوميتهم فليذودوا عن اخلاقها وليدرأوا عن عاداتها ولا نظنهم الا فاعلين ان شاء الله

انا نشاهد الاجانب الذين يأتون بلادنا سائحين او مستوطنين محافظين كل المحافظة عَلَى عاداتهم واخلاقهم مفتخرين بالمحافظة عليها ولذلك نراهم مهما قطنوا بلادنا أُولي حفاظ شديد عَلَى ما تربوا عليه بل نراهم عاملين بكل قواهم عَلَى نشر مبادئهم واخلاقهم بين اهل بلادنا

نحن لا نطلب الآن من شباننا ان ينشروا عاداتنا واخلاقنا بين القوم الذين يتلقون عنهم العلم، بل غاية ما نطلبه منهم ان يظلوا محافظين عَلَى اخلاق قومهم وان يرجعوا اليهم كما ذهبوا حتى يمكنهم الاختلاط بهم وبث المبادئ العالية والعلم الصحيح فيهم. والشرط كل الشرط ان لا يروا انفسهم ارفع من قومهم بحيث يحتقرونهم، فان ذلك لا ينتج الا التنافر وهو يضيع الفائدة المبتغاة من ذهابهم الى الديار الاجنبية لتلقي العلوم

وهنا احب ان افاوضهم بحديث هو من الاهمية بالمكان الذي يستحقه كل امر مهم وهو ان بعض من اتكلم عنهم يرجعون وقد دق في نفوسهم شيء مما يتعلق بالاديان فتراهم يتكلمون غير مبالين بما ينجم عن ذلك من قرون الشر، وانا اعتقد ان كلامهم ليس عن الحاد وانما هو عن شبه يودون ازالتها قد اثرت في اذهانهم بسبب ما يسمعونه من الملاحدة اعداء الاديان، وهذا ليس مختصاً بالراحلين الى الغرب بل هو شامل بعض من يسمون انفسهم متنورين، فعلى هؤلاء ان يدرسوا اسرار الدين وحكمه ويتلقونه عن اهله العارفين بتاريخه وفلسفته، وان مرَّ بخاطرهم شيء من الشبه فعليهم ان يسألوا اهل الذكر والافاضل لا ان يتشدقوا بذلك امام من صغرت عقولهم وضؤلت نفوسهم، فان ذلك مدعاة التنافر ومجلبة التخاذل، وسأوضح لهم هذا المقام توضيحاً واريهم سوء مغبته عَلَى العلم والامة معاً باجلى بيان

ان ارادت نابتة الامة ان تنهض وتسير بقومها في السبيل القويمة فعليها ان تحافظ عَلَى الاخلاق والعادات التي تعودناها وان تكون متدينة صالحة فلا رقيَّ للشرق الا بالعلم والاخلاق التي تناسبه خصوصاً بالدين الذي يهذب الاخلاق ويطهر الاعراق، فالى العلم والاخلاق والدين ايتها النابتة الكريمة

انا لا اعتقد كما يعتقد الكثير بان هذا القسم من النشء سيء الاعتقاد او لا اعتقاد له بالمرة او انه يحب اهانة الدين وانما اعتقد انه ذو اعتقاد صحيح وغيرة عَلَى الدين عظيمة لكنه منتقد بعض ما دخل في الدين وليس من اصوله ولا صحيح فروعه، اعني انه يتهكم عَلَى ما احدثه المبتدعة من الخرافات والبدع وقالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً الا ساء ما يعملون ، فاذا سمعه العامة يظنون انه يطعن في الدين وما طعنه الا في الزوائد التي ليست من الدين في شيء بل هي مما يجب عَلَى مصلحي العلماء ان يسعوا وراء ازالته ومحوه حتى يبقى الدين خالصاً من كل شائبة نقياً من جميع الادران

نعم ليس عندي شك بان اللهجة التي يستعملونها في انتقاد البدع شديدة تنفّر السامع وتدع في نفسه الشك من حال المنتقد فلو استعملوا التؤدة في اظهار الحقيقة وتروّوا في الانتقاد واستشهدوا عَلَى مدّعاهم بما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة لاذعن الخصم اذعاناً، وبهذه الوسيلة لا يتركون في نفس المنتقَد عليه شبهة ولا خاطرة تمرُّ في ذهنه فتثير فيه التعصب الذي يحمله عَلَى سوء الظن بمن يجادله

وربما تهاون بعض النابتة ببعض الفروض الدينية لا عن كفر ولا الحاد وانما الداعي الى ذلك الكسل ، فيرميهم بعض الجبلة بالالحاد ويصمهم بالمروق من الدين . ومن الغريب ان كثيراً من هؤلاء الذين ينسبون الى غيرهم الكفر لتهاونه في بعض الاعمال هم انفسهم متهاونون بها او باعظم منها

فلو لم يتهاون بعض النشء ببعض الاعمال الدينية بل ثابروا عَلَى ادائها وواظبوا عَلَى الاتيان بها لقطعوا بذلك السنة الخراصين الذين يقولون انهم كفار او ملحدون من جراء ترك بعض الفروض

اجل ربما وجد افراد لا يُعبأ بهم قد فسدت عقيدتهم فهم يهرفون بما لا يعرفون ويتطوحون بالكلام الفارغ الذي لا يفيد الا النفور ولا يجدي غير تفرق الكلمة ، ولو سألت هؤلاء ان يبينوا لك موضعاً واحداً من النقد لما استطاعوا الى ذلك سبيلا، لانهم مقلدون لم يدرسوا من اصول الدين ولا فروعه شيئاً ، وانما قرأوا في بعض كتب الملحدين من الاوربيين ومن نحا نحوهم فعلقت في نفوسهم شبه مما قرأوه لانها اتتهم وقد الفت في قلوبهم متسعاً فضربت اطنابها، فلو ان هؤلاء درسوا من الدين ما يكفيهم مؤونة ما يرد عليهم من الشبه والاعتراضات لاحسنوا صنعا

ان هؤلاء المقلدين هم اعداء العلم اعداء ترقية الامة وان كانوا يزعمون انهم من انصار

المعارف · وربما عجبوا من هذه النسبة اليهم لانهم تملصوا من الدين لاجل العلم بزعمهم ، فاقول لهم لا تعجبوا ومتى ظهر السبب بطل العجب :

انكم باظهار فساد عقيدتكم وتظاهركم بما ينافي الدين تنفرون الناس منكم ومن العلم لانهم يظنون ان الذي افسدكم هو العلم كما صرح بذلك كثير من الناس ومتى رسخت هذه العقيدة في النفوس كانت حائلاً عظيما دون ارسال القوم اولادهم الى المدارس العالية لانهم يفضلون ان تبقى اولادهم ناقصي العلم على ان يكونوا ناقصي الدين · وهذه جناية كبيرة عَلَى العلم والدين سببها تهوُّر البعض وتظاهره بعدم التدين تقليداً لمحدي اوربا ليقال انه غير مقيد وما هو الا مقلد مقيَّد يقول ما لا يعلم ويدين بما لا يقوم عليه برهان صحيح ولا دليل رجيح

انا اعرف رجلاً متديناً منوَّر الفكر له ثلاثة اولاد قد قذف بهم الى المدارس العالية وهو يتكبد مصرفات عظيمة فضلاً عن تحمله آلام البعد عنهم · وقد سمعته منذ بضعة اسابيع يقول : يترجح عندي ان لا ارسلهم بعد الآن الى المدارس بل سأرمي بهم الى المزارع فسألته عن السبب فقال: خيرٌ لي ان يبقوا متدينين متمسكين بعقائدهم من ان يكونوا فلاسفة علماء وليسوا عَلَى شيء من الدين كما نشاهد بعض المتعلمين كذلك ، فقلت له يا هذا ليس العلم هو الذي يقلل التدين بل هو مما يعين المتدين ويكون له سلاحاً يحارب به الالحاد وانما الذنب عَلَى الآباء الذين لا يربون اولادهم تربية دينية راقية بل يرسلونهم الى المدارس العالية قبل ذلك واني امين من اولادك فلا خوف عليهم ولا بأس

ان عمل هؤلاء المتطوحين وانتهاكهم حرمة الدين سيكونان ان لم يتنبهوا وسيلة لمنع الناس ابناءهم من التعليم العالي وضربة قاضية عَلَى العلم والامة معاً ، فهلا ادركوا مقدار الضرر الناجم عن تهوُّرهم وهلاَّ عرفوا الى اية هاوية هم سائرون بانفسهم وامتهم

ان مثل هؤلاء المفسدين يجب ان ينبهوا الى هذا السر ، فان تعقلوا وانابوا فبها ونعمت والا وجب عَلَى الامة وخصوصاً الفئة المتعلمة منها ان ينبذوهم نبذ النواة لانهم اعداء العلم اعداء الترقي بسبب ما يعملونه من الاعمال التي تنفر الامة من العلم

هذه كلمات وجيزة ارسلها الى البعض من النشء الجديد المتشدقين لعلها تكون واعظاً ومذكراً لقوم يعقلون

تنبيه لقوم وتخطئة لآخرين

هذا مقال كنا نشرناه نصفين بعنوانين مختلفين في جريدة المفيد فساء قوماً وسر آخرين سرَّ المعتدلين المنصفين وساء بعض المنوَّرين وكثيراً من الجامدين ، اما بعض المنوَّرين

فقد قالوا ان هذه المقالة قد اساء فيها فهماً بعض العامة وظنوها داعية لهم الى عدم ارسال اولادهم الى المدارس العالية في الغرب ، واما الجامدون فقد فهموا عكس ما فهمه اولئك وأنها حاضة على ارسال التلاميذ اليها كل الحض فهم لذلك ناقمون ، واما نحن فنقول ان كلا الطرفين مخطيء لاننا ما قصدنا من انشائها الا تحريض الآباء عَلَى ارسال اولادهم وتنبيه الاغنياء الى التبرع لارسال التلاميذ الفقراء عَلَى شرط ان يتعلموا قبل ذلك من الدين واللغة العربية والاخلاق الشرقية ما يدفع عنهم عوادي عادات القوم ومفاسد اخلاقهم وليس فيها ما يدعو الى سوء الفهم

صفحة فلسفية

الحيوان منطقي

اني لا اجهل ان اكثر قراء مقالتي هذه يغضبون عليَّ لاني اشركت الحيوان الاعجم في اهم امر كانوا يزعمون انه خاص بالانسان الا وهو المنطق ولكن مهلاً ايها الغاضبون ورويداً لا تستعجلوا في الغضب عليَّ حتى يحكم كلانا بعد ان نراقب الحيوان في حركاته هل هو منطقي او لا

يعلم كل من راقب الحيوان في اعماله انه لا يتحرك حركة الا بعد ان يقيس ويستنتج وما ارادته الا تابعة لاعتقاده الذي هو نتيجة القياس المنطقي الذي يرتبه في نفسه بسرعة

تثب الهرة مثلاً عَلَى العصفور وما وثوبها الا لاعتقاد انه نافع لها وان كل نافع يجب عمله ويهرب العصفور منها وما هربه الا لاعتقاد أنَّ الوقوف مجلبة للهلاك فهو ضارٌ به يجب التجنب عنه

فالهرة ترتب قياساً مقدمتاه مبنيان عَلَى الحس والمشاهدة والذكر والحكم فتقول هذا عصفور وكل عصفور لذيذ فتنتج المقدمتان اعتقادها أنَّ هذا العصفور لذيذ ، ثم تجعل نتيجة هذا القياس صغرى لقياس آخر ترتبه قائلة : ان هذا العصفور لحمه لذيذ وكل ما كان لحمه لذيذاً نافع فهذا العصفور نافع ، ثم تجعل نتيجة هذا القياس الثاني مقدمة لقياس ثالث تتحرك

بموجب الاعتقاد بنتيجته وهو قولها هذا العصفور نافع وكل نافع يجب ان أحرزه فهذا العصفور يجب ان أحرزه فهي بعد ان تعتقد بوجوب احرازه تحفز للوثوب عليه

وليس منطق العصفور الذي يطير ناجياً من براثن الهرة دون منطقها فهو كذلك يرتب القياس بعد القياس الى ان يصل الى النتيجة القائلة بوجوب فراره من وجه الهرة المخيف

اما قول الهرة هذا عصفور فقضية مركبة من موضوع ومحمول الاول منهما يحتاج تصوُّره الى حسّ والثاني الى ذكر لتحكم الهرة ان ما تشاهده من صورة العصفور هو احد صوره المحفوظة في ذاكرتها

واما قولها كل عصفور لذيذ نقضية كبرى مركبة كذلك من موضوع ومحمول الاول منهما يحتاج تصوره الى ذكر واستقراء لكل صور العصفور والثاني الى ذكر اللذة واستقراء صورها لتحكم ان تلك الصور كلها متصفة بصفة اللذة · ومثلهما مقدمتا قياس العصفور فلا اطيل عليهما الكلام

وما طيران الذبابة الحقيرة من اصبع الانسان المتحركة نحوها الا نتيجة قياسٍ ترتبه في نفسها كأن تقول ان هذه الاصبع ضارّة وكل ضار يجب ان افرّ منه فتبني ارادة الحركة عَلَى اعتقادها بالنتيجة القائلة ان هذه الاصبع يجب ان افر منها لحفظ شخصها المحبوب · وهو يثبت ان المنطق علم آليّ يستعملهُ كل حيوان مريد مهما كان حقيراً لا يُعبأ به

اما الحس فهو موجود في جواهر المادة عَلَى صورة الانفعال للمادة بالمادة فهو بسيط لا يدركه الانسان · واما الارادة والذكر فهما مرتقيان عن الحس بعد ان ارتقت المادة الى صورة الخلايا وقسمت بينها الاعمال · فالاولى اثر ردّ الفعل في المادة المنفعلة والثاني حفظ الخلايا لصور انفعال المادة باهتزاز جواهر تلك الخلايا لاهتزاز جواهر خلايا الحس بما يشبه الاهتزاز الاول ولذلك كان الشيء بالشيء يذكر

والذي يميز الانسان عن الحيوان هو وجود خلايا فيه عملها ارقى من خلايا الذكر والاستقراء والاستنتاج الا وهو خلايا العلم المركب والاختراع فان الانسان يعلم ويعلم انه يعلم بخلاف الحيوان الذي يعلم ولا يعلم انه يعلم، والانسان يخترع لتسهيل اعماله الحيوية ما لا يقدر الحيوان ان يخترعه

بغداد جميل صدقي الزهاوي

موضوعات واخبار علمية

الدماغ يشع نورا

ان الانسان كما يعلم كل فسيولوجي مجهَّز بحواس هي ابواب معرفته لولاها لما علم شيئًا من هذا العالم الخارج الواسع . وهذه الحواس عديدة والمهم منها البصر والسمع واللمس والذق والشم وهي التي تربط الانسان بالمحيط الذي يحيا فيه

واوّل علم للانسان هو علمه بوجوده وهذ االعلم لا يأتيه من الحواس بل هو نتيجة انفعال العقل بتأثيرات اجزاء الجسد كله بواسطة الاعصاب التي تصلها به كما ينفعل بالخارج بواسطة اعصاب البصر والسمع واللمس مثلا

وقد ينخدع العقل في علمه بوجود الغير فيرى ما ليس بمرئي في الخارج ويسمع ما ليس بمسموع فيه ، غير انه اذا ارتاب لمس الشيء فتحقق وجوده ولم ينخدع . والانسان لا يرى من المادة الا لونها وهو النور المنعكس عنها بعد ان صادمها آتيًا من جسم منير ولا يسمع الا صوتها وهو حركة المادة يصل الى صماخه بواسطة تموج الهواء

ولا يشم الا رائحتها وهي حركات اجزاء متطايرة منها تهز عصب الشم ، ولا يذوق الا طعمها وهو حركات تهزُّ عصب الذوق . ولا يلمس الاّ القوى الدافعة في المادة غير ان الحس باللمس يعطي علماً بوجود الشيء اقوى مما تعطيه الحواس الاخر كما اسلفنا . وليس في كل هذه الاحساسات ما يدل بصراحة عَلَى وجود الشيء في الخارج اي ان العقل لا يحس بوجود الشيء الخارجي رأسًا بل جميع ما يحس به قوى صادرة عن المحسوس

واللمس حسّ قاصر عَلَى القريب المتناول وان كان اقوى من سائر الحواس تأثيرا ، وابعد مدى منه الذوق ومن الذوق الشمّ ومن الشمّ السمع ومن السمع البصر

لو لم يكن للانسان بصرٌ لما علم بوجود النجوم ولا اضوائها وحركاتها فالبصر هو وحده الذي يربط الانسان بالعوالم الاخر البعيدة عنه ولولاه لكان علمه قاصراً عَلَى ما عَلَى الارض من الوجود المحدود

اذا عمي انسان فالخطب يسير لانه لا يفقد كثيراً من العلوم فقد يستعين بالسمع عن البصر ، وهذه الاستعانة ممكنة ما دام غيره من الناس يبصرون فيروون له علمهم بالمبصرات ، ولكن الخطب كل الخطب هو ان يعمى كل البشر ولا يوجد احد يذكر لهم ما يشاهده من

سعة الطبيعة واختلافها وحركاتها

قد تقدم ان البصر اتم الحواس من جهة ما يعطيه من العلم بسعة الوجود وهو يتوقف عَلَى نورٍ تهديه الشمس او النجوم او النار الموقدة او الكهرباء . والنور اهتزاز في الاثير سببه الجسم المنير الذي يهز الاثير فيقع ذلك الاهتزاز عَلَى المرئي وينعكس منه الى البصر وينتقل بواسطة عصبه الى الدماغ

امَّا صور الاشياء فهي ذهنية قاطبة لانها انما حصلت في الدماغ بواسطة اهتزاز اجزاء منه وسبب رؤيتها خارجة كون مصدر هذا الاهتزاز هو النور الخارجي كما ان الاصبع تتأذى فيدرك العقل الاذى فيها لان الاعصاب ادَّت اهتزازها اليه .

وقد اجمع الفسيولوجيون الا اقلَّهم عَلَى ان مصدر النور هو الخارج واني مخالفهم واثبت ان مصدر بعضه الخارج ومصدر بعضه الآخر هو الدماغ كما يأتي

اما النور الخارجي فلا اطيل عليه الكلام لان الناس اليوم متفقون عَلَى انه واسطة الرؤية وان الالوان عبارة عنه فاذا وقع عَلَى جسم احمر مثلاً امتص ذلك الجسم سائر الاشعة وعكس الى عين الرائي الاشعة الحمراء منه فقط فرآه احمر غير اني أنبّه عَلَى شيء في النور لم يلتفت اليه الفسيولوجيون وهو ان المبصر للشيء يبقى في دماغه اثر للابصار بضع ثوانٍ وان انقطع عنه النور المسبب للرؤية بالاغماض

انظر وانت في مكان قليل النور الى شباك منير فانك تحس بالشباك لا محالة فاذا اغمضت دامت رؤيتك له بضع ثوانٍ تطول من خمس الى ١٥ كانك ترى الشباك في القمر ثم تزول هذه الرؤية وينعكس الاحساس فترى قضبان الشباك بيضاً والفُرَج بينها سوداً بعد ان كنت تبصر القضبان سوداً والفُرَج بيضاً . ثم تزول هذه ايضاً بعد ان تدوم من ثانيتين الى خمس ثوانٍ في صورة بقع بيض تتقدم وتتأخر الى ان تزول بالتمام

وهو دليل عَلَى ان الصور المرئية صور ذهنية تبقى فيه وان انقطع النور المسبب لها كأن يهز النور العصب البصري وينقل هذا اهتزازه الى خلايا الذهن وهي قسم من الدماغ يمثل الصور وتؤثر هذه في خلايا العقل فتحس بالصور كانها خارجية لكون اسبابها كذلك لا أنَّ النور يهز العقل رأساً فيحس به

ومما يؤيد رأيي هذا هو ان العقل يعلم ان هذه الصور بعيدة عنه وان كان العلم بها قريباً

واما النور الداخلي فهو الذي يشعُّه القسم الخاص بالبصر من الدماغ بواسطة اعصاب تضغط عليه ودلائلنا عليه اربعة : الاول ما يراه الانسان في عين الهرَّة واضرابها من النور

فذلك ليس الا نوراً يشعُّه دماغ الهرّة لا نوراً خارجياً ، بدليل روٴيته في الظلام الدامس والليل الحالك .

وربما كان هذا النوع من الحيوان يهتدي الى فريسته في ليالي السحاب المظلمة بهذا النور فهو يخرج من دماغه بطريق العين ويقع عَلَى المرئي وينعكس منه الى عينه ثانية فدماغه فعقله

والثاني انك اذا ضغطت عَلَى طرف عينك شاهدت حلقة مضيئة في الطرف الآخر منها . وكنت احسب في باديء الامر انه نور تشعُّه نفس العين ولكن علمت بطول المراقبة والاختبار انه ناشيء عن الدماغ نفسه بواسطة ضغط العصب ومنعكس عن العين ثانية الى الدماغ . واما استدارة ما يرى فهو ناتج عن شكل العين المستدير والنتيجة ان الضاغط عَلَى عينه يرى صورة العين نفسها

والروٴية هذه اما باستعانة النور الخارجي او النور الداخلي الذي يشعه الدماغ ، والفرق بينهما انك اذا ضغطت عَلَى طرف عينك في الظلام رأيت الحلقة المضيئة ولكنها تزول سريعاً وان دام الضغط وذلك لانقطاع النور الناشيء عن الدماغ ، واما اذا ضغطت عليه في الضياء رأيت الحلقة المضيئة باقية ما بقي الضغط لان النور المتواصل الدخول من الخارج كثير

والسبب في عدم روٴية هذه الحلقة عند عدم الضغط عَلَى طرف العين في الظلام او الضياء هو ان الحلقة صورة العين فاذا لم تنحرف بالضغط عن البصر المشع للنور نفذ النور فيها فلم ينعكس عن حافاتها

والثالث انك اذا تمطّيت وتثاءبت او اذا شدّدت عَلَى عينيك بواسطة عضلاتها شاهدت امام عينك من مجلس البصر اولاً بياضاً تنبجس عنها عيون مضيئة باشراقٍ في اشكال هندسية والوان زاهية وشهب نارية واحسست بحرارة وصداع يعقبه تلاطم يشبه تلاطم الماء اذا اصابه ضوء

فهذا النور تراه كلما كررت التجربة سواء كنت في الضياء او في الظلام الدامس مما يدل عَلَى ان مصدره الدماغ نفسه لا الخارج

والرابع انك اذا اطلت المراقبة في ليالي الشتاء السود تحت اللحاف تشاهد امام عينك انواراً ضئيلة تنبثق من نُقَطٍ معينة في مجلس البصر من دماغك تهتزّ بها الاجزاء المجاورة لها في شكل بُقَع بيض سابحة تزول وتعقبها شرارات اخرى هي اشبه بالشرارات الكهربائية

تسبب رؤية بقع ثانية . وهذه الانبعاثات متواصلة غير ان الشديدة منها متناوبة في بضع ثوانٍ وكنت اظنها ناتجة من تأثير الدم الشرياني في الدماغ ولكني وجدت بطول الاختبار ان مدتها اطول من مدة النبض الشرياني فليست هي من آثاره ، وتبين لي أنها نبضات عصبية لا علاقة لها بالدم ونبض شريانه

وهذه الانبعاثات لا تشاهد الا بعد مراقبة ودقة وهي التي تعطي الالوان للشيء الذي تتصوره فمن الصعب ان تتصور فرساً ابيض او شيئاً آخر ابيض ما لم تكن امامك بقع بيض تكفي لتصوير بياض ما تريد لتتصوره

وقد تندهش اذا قلت لك انك لا تقدر ان تتصور شيئاً ما لم تساعدك هذه الانوار على تمثيله وانك اذا اردت تصور شيء شدّ العقل بواسطة الاعصاب على هذا القسم من الدماغ كأنه اليد او الرجل فانقبض وانضغط وانبثق منه نور تحرّك به ذلك القسم من الدماغ فرأى العقل فيه صورة ما اراد . ولولا هذا النور لما شاهد الحالم في منامه المرئيات

وكما ان العقل يمكن له ان يتصور الشيء بواسطة النور الداخل من طرف العين المغمض اكثر اجفانها كذلك يتصوره بواسطة هذا النور الذي تشعّه اعصاب البصر المتفرعة في الدماغ . وكما ان النور الخارجي اذا هزّ مجلس البصر من الدماغ رأى العقل امامه فسحة واسعة للرؤية ، كذلك هذا النور يهزّ ذلك المجلس فيرى العقل امامه فسحة واتساعاً

وهنا موقف ريب لا يتقدم المفتكر عنه بسهولة وهو ان وجود هذا النور في الظلام حيث لا مصدر له في الخارج محقق وان الصور التي يتصورها المتصوّر ويشاهدها الحالم هي هذا النور فلماذا لا يحلم الاكمه بالانوار والالوان اي لماذا لا يشعّ دماغ الاكمه مثل هذا النور ليحسّ في عماه

والجواب ان العقل ينتزع هذه الصور من الكليات التي تحفظها خلايا الذكر ، فلما لم تكن هذه الكليات موجودة في دماغ الاكمه لم يقدر العقل ان ينتزعها منها . وهو كما تراه غير مقنع فان الكليات عبارة عن تكرر رؤية الجزئيات فلماذا لا يحس عقل الاكمه بهذه الشرارات الجزئية التي يشعها دماغه من وقت الى آخر

والجواب الشافي هو ان العصب البصري في دماغ الاكمه لما كان غير ناقل للنور اليه لم يتعوّد ان يهتز ذلك الاهتزاز ليشعّ مثله من النور

بغداد جميل صدقي الزهاوي

مسألة دوران الارض

قرأت في النبراس الاغر مقالة الاستاذ الفاضل عبد الرزاق افندي الجزيري وشكرت عنايته بتحقيق هذه المباحث وقد سنح لي ان اؤيد ما كتبه بنصوص سلفنا الأئمة ليعلم الحشوي المنكر لهذه الدقائق انه ينادي عَلَى نفسه بالجهل ومعاداة العلم وانه مزجى البضاعة لم يطلع عَلَى كتب السلف ادنى اطلاعة، وهاك شذرة من ذلك :

قال الامام العلامة العضد في مواقفه الشهيرة في المقصد السادس من مباحث العناصر ، ما مثاله : الارض ساكنة — وقيل صاعدة — وقيل هاوية (ثم قال) وقيل انها تدور متحركة عَلَى مركز نفسها من المغرب الى المشرق خلاف الحركة اليومية التي اعتقدها الجمهور — والحركة اليومية لا توجد عَلَى هذا التقدير وانما تتخيل بسبب حركة الارض اذ يتبدل الوضع من الفلك بالقياس الينا دون اجزاء الارض اذ لا يتغير الوضع بيننا وبينها فانا عَلَى جزء معين منها فاذا تحركت من المغرب الى المشرق ظهر علينا من جانب المشرق كواكب كانت مختفية عنا بحدبة الارض وخفي عنا بحدبتها من جانب المغرب كواكب كانت ظاهرة علينا فيظن لذلك ان الارض ساكنة في مكانها والمتحرك هو الفلك فيكون حينئذٍ متحركاً من المشرق الى المغرب وذلك كراكب السفينة فانه يرى السفينة ساكنة مع حركتها حيث لا يتبدل وضع اجزائها منه ويرى الشط متحركاً مع سكونه حيث يتبدل وضعه منه مع ظن انه ساكن في مكانه وكذلك نرى القمر سائراً الى الغيم حين يسير الغيم اليه وغير ذلك، من امور معروفة في غلط الحس اه كلامه مع شرح السيد الشريف قدس سره فانت ترى ان القول بحركتها قول قديم لائمة الاسلام مشهور مأثور

وقال الشيخ هرون المرجاني احد ائمة قازان ومجتهديها وصاحب المؤلفات العديدة الشهيرة في قازان وغيرها — في كتابه المسمى مقدمة كتاب وفية الاسلاف وتحية الاخلاف المطبوع في قازان سنة (١٣٠٠) ما مثاله صفحة (٣١٢) ويدل عَلَى حركة الارض قوله تعالى « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرُّ مرَّ السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون » فانه خطاب لجناب الرسالة وايذان الامر له بالاصالة مع اشتراك غيره في هذه الرؤية وحسبان جمود الجبال وثباتها عَلَى مكانها مع كونها متحركة في الواقع بحركة الارض ودوام مرورها مرَّ السحاب في سرعة السير والحركة (ثم قال) وقد اشتملت هذه الآية عَلَى وجوه من التأكيد وانحاء المبالغة فمن ذلك تعبيره بالصنع الذي هو الفعل الجميل

المتقن المشتمل عَلى الحكمة ، واضافته اليه تعالى تعظيماً له وتحقيقاً لاتقانه وحسن اعماله ، ثم توصيفه سبحانه باتقان كل شيء ومن جملته هذا المرور ، ثم ايراده بالجملة الاسمية الدالة عَلى دوام هذه الحالة واستمرارها مدى الدهور ، ثم التقييد بالحال لتدل عَلى انها لا تنفك عنها دائماً (ثم قال) فهذه الآية صريحة في دلالتها عَلى حركة الارض ومرور الجبال معها في هذه النشأة ، وليس يمكن حملها على ان ذلك يقع في النشأة الآخرة او عند قيام الساعة وفساد العالم وخروجه عن متعاهد النظام وان حسبانها جامدة احساسها لعدم تبين حركة كبار الاجرام اذا كانت في سمت واحد فان ذلك لا يلائم المقصود من التهويل على ذلك التقدير عَلى ان ذلك نقض واهدام ، وليس من صنع واحكام ، والعجب من حذاق العلماء المفسرين عدم تعرضهم لهذا المعنى مع ظهوره واشتمال الكتب الحكمية عَلى قول بعض القدماء به ، مع انه اولى واحق من تنزيل محتملات كتاب الله عَلى القصص الواهية الاسرائيلية على ما شحنوا بها كتبهم ، وليس هذا بخارج عن قدرة الله تعالى ولا بعيد عن حكمته ولا القول به بمصادم للشريعة والعقيدة الحقة بعد ان تعتقد ان كل ذلك حادث بقدرة الله تعالى وارادته وخلقه بالاختيار كائناً ما كان وهو العلي الكبير وعَلى ما يشاء قدير

واعلم ان هذه الآية وما قبلها من قوله تعالى « الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون » اعتراض في تضاعيف ما ساقه من الآيات الدالة عَلى احوال الحشر واهوال القيامة كاعتراض توصية الانسان بوالديه في تضاعيف قصة لقمان ، ومثل ذلك ليس بعزيز في القرآن ، وفائدته هنا التنبيه عَلى سرعة تقضي الآجال ، ومضي الآماد . والتهويل من هجوم ساعة الموت . وقرب ورود الوقت المعاد . فان انقضاء الازمان . وتقضي الاوان . انما هو بالحركة اليومية المارة عَلى هذه السرعة المنطبقة على احوال الانسان . وهذا المرور وان لم يكن مبصراً محسوساً لكن ما ينبعث منه من تبدل الاحوال بما يطرؤه من تعاقب الليل والنهار وغيره بمنزلة المحسوس المبصر فاعتبروا يا اولي الابصار . فيكون هذا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم مخصوصة به اذ لم يخبر به غيره من الانبياء . وليس بممكن حمل الآية عَلى تسيير الجبال الواقع عند قيام الساعة ووفاء النشأة الآخرة اذ هو ليس من الصنع في شيء بل هو افساد احوال الكائنات واخلال نظام العالم واهلاك بني آدم اه كلام المرجاني رضي الله عنه وارضاه

دمشق — جمال الدين القاسمي

اللغة العربية وآدابها

تعليم اللغة العربية

مقال كتبناه في الوسائط التي يلزم اتخاذها لاجل تسهيل تعليم وتدريس اللغة العربية واحيائها في مدة قليلة لدرجة كافية في مكاتب الدولة العثمانية بعد ايضاح وشرح الاهمية التي حازها اللسان في الممالك الاسلامية من حيث الديانة والسياسة والعلم والاقتصاد . وموضوع هذه المقالة هو احد مواد الامتحان التي طلبت ممن دخلوا في السباق لاحراز استاذية اللغة العربية في المكاتب السلطانية التي تشكلت حديثاً وقد كان منشيء هذه المجلة احد المسابقين وهذه هي المقالة التي كتبها :

. . . . . .

خلق الله هذا النوع من الانسان وجعله ناطقاً سامعاً ليتهيأ له الافادة والاستفادة الضروريتان لكمال المعيشة والحياة الطيبة ، فلما كثر افراد الانسان في بقعة من الارض ضاقت عليهم بما رحبت فاضطروا الى المهاجرة وترك الديار ، ولما كانت البيئة تؤثر في الانسان والحاجة تفتق الحيلة انصاعوا لحكم الضرورة ولجأوا الى وضع اسماء لمسميات لم يكونوا يعرفونها وهكذا فعل كل قبيل ممن هجر دياره حتى اذا تمكن طول المدة منهم تحولت لغاتهم وتبلبلت ألسنتهم ، وكان من اولئك الاقوام الجنس السامي الذي منه العرب اصحاب اللسان العربي الذي نزل القرآن الكريم به

ولما كان لكل لغة من لغات العالم ادوار مرّت عَلَى حياتها كان للسان العربي ادوار كذلك كالدور القديم البائد والدور الجاهلي والدور الاسلامي النبوي والدور الاموي والدور العباسي والدور العثماني ودور الانحطاط . وكانت هذه اللغة في ادوارها الاولى زاهية زاهرة لانها كانت لسان الدين والادب ولسان العلم الطبيعي والجغرافي والطب والحساب والهندسة وغير ذلك من الفنون -- ثم عراها انحطاط هائل واستولى عليها التأخر لاسباب كثيرة منها انقسام الامة عَلَى نفسها وهجر العلم والميل الى المخاصمات والمنازعات الداخلية ، فخلف من بعد اولئك الرجال العظام خلف اخذوا من اللغة قشورها وهجروا لبابها فاكتفوا من النحو والصرف بالمناقشات والاعتراضات التي لا تجدي نفعاً ، ومن البلاغة بالزخارف المموّهة ، ومن الشعر برصف الالفاظ الموزونة ، ومن الانشاء بالسجع الثقيل على الطبع ، ومن متن اللغة بما لا يروي الغلة ولا يطفيء الاوار ، ثم اطالوا في توسيع المؤلفات عَلَى تلك الطريقة العقيمة ، فطالت

سبل التحصيل على الطالبين وصعب تناول هذه اللغة الا بعد صرف وقت طويل

ولما كان هذا العصر عصر علم وعمل واختراع وابتداع وكهرباء وبخار وبواخر وقطار وجب اتخاذ طرق جديدة في التعليم تسهيلاً على الراغبين في درس اللغة الشريفة خصوصاً غير العرب من الترك والهنود والصينيين والعجم والبخاريين وسائر الامم الاسلامية وغير الاسلامية ، فان لهذه اللغة كما هو معلوم لكل عثماني مفكر من الاهمية في الدين والسياسة والعلم والاقتصاد شوطاً بعيداً ، فمن اراد ان يكون عالماً دينياً وجب عليه اتقانها حتى يتفهم معاني القرآن والحديث ويطلع على ما دونه العلماء من الآثار الدينية والادبية والتاريخية وغيرها ، فمعرفة معاني القرآن ضربة لازب على كل عالم ديني ولا يتأتى له ان يعرف معانيه الا بعد اتقان اللغة التي أنزل فيها

ولهذه اللغة اهمية كبيرة من حيث الادب والعلم فانهما مرجع عظيم لادباء العثمانيين وعلمائهم لان كثيراً من الفاظها وتراكيبها صار جزءاً متماً للغة العثمانية حتى ان الاديب العثماني لا يكون اديباً كل الاديب الا اذا كان عنده نصيب وافر وقسط كبير من معرفة لغة القرآن

واما اهميتها السياسية والاقتصادية فهي اوضح من الشمس ، اذ من المعلوم ان الدولة العثمانية هي الدولة الاسلامية الوحيدة الواقفة في وجوه الطامعين بانتقاص البلاد الاسلامية من اطرافها خصوصاً البلاد العثمانية منها ، ولما كان ما تحت امرة الدولة من المسلمين جزءاً يسيراً بالنسبة الى ما هو خارج عنها كان لابد من الوسائط الفعالة والوسائل الناجعة التي تقربنا من المسلمين الذين هم ليسوا عثمانيين وتقربهم منا ، وهذه الوسائط تفتقر الى وسيلة تكون مقدمة لها ، وهذه الوسيلة هي استعمال لغة نتفاهم بها معهم ولما كانت اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي يخضع لها المسلمون كافة ويرضى بها مجموع الامة الاسلامية وجب تعميمها ونشرها بين العثمانيين لان جلهم من المسلمين ، ومتى انتشرت بين طبقات الامة وسعينا لنشرها بين المسلمين في سائر البلاد التي ليست تحت امرتنا تم لنا ما نريد من جمع كلمة المسلمين وجعلهم يميلون كل الميل الى الدولة العثمانية الاسلامية ، يلبونها عند الطلب ويحملون اثقالها عند الحاجة ، ولا يخفى ما وراء هذه الفائدة السياسية والاجتماعية من الفوائد الاقتصادية التي تكون منافعها متبادلة بيننا وبين اخواننا اولئك ، بل عند التفكير نجد اننا ننتفع منهم اكثر من انتفاعهم منا لاننا نكون نحن مرجعهم في كثير من الامور وتكون بلادنا مورداً لسياحهم ومقصداً لكبار رجالهم وهناك الفوائد المادية والمعنوية

ولما كان للغة العربية تلك الاهمية العظيمة وجب السعي وراء تسهيلها عَلَى الطلاب كما قدمنا ، وابقاؤها عَلَى هذه الصورة من الصعوبة ضرب من ضروب اماتتها ، وذلك يكون بوضع كتب سهلة العبارة حسنة الترتيب ، ثم انتخاب معلمين لها من الاكفاء الذين يحسنونها تكلماً وكتابة ولهم وقوف تام عَلَى اصول التعليم الحديثة

وطرق التعليم تختلف باختلاف الطلاب فان كانوا عرباً وجب ان يدربهم المعلم عَلَى اتقان القراءة البسيطة اولاً ثم يعطيهم بعض اصول في الصرف مختصرة ثم بعض اصول في النحو كذلك ، ويجب ان يكثر لهم الشواهد والامثلة والتمارين ثم يطبق لهم ذلك عَلَى ما تعلموه تطبيقاً حتى يكون لهم حظ من العلم والعمل ، ثم يرجع الى ما شرحه لهم فيعيده عليهم باطول مما شرحه لهم اولاً ، وهكذا الى ان يحصلوا نصيباً كافياً ، ثم يدرس لهم شيئاً من اللغة واصولها ثم يملي عليهم ما يختاره لهم من اطايب المنثور والمنظوم ويحملهم عَلَى حفظه عن ظهر قلب مع إفهامهم معنى ذلك كله ثم يدرس لهم فنون البلاغه وهي المعاني والبيان والبديع ثم علم العروض ، ومتى اتقنوا ذلك يدربهم عَلَى التعبير عن افكارهم بالقلم تدريجاً تدريجاً حتى تتمكن منهم ملكة الكتابة والانشاء ، واحسن وسيلة لاتقان الانشاء ان يلقي عَلَى التلاميذ اولاً بعض القصص التاريخية والفكاهية ثم يطلب منهم كتابتها . ثم يرقى بهم العلم في سلم المواضيع درجة درجة ، وهذه هي الوسيلة الوحيدة التي اختبرتها بنفسي يوم كنت اعلم العربية في بعض المدارس الاهلية وهي الواسطة التي اتخذتها مع تلاميذ المكتب الاعدادي الملكي في بيروت فحصلوا عَلَى ملكة الكتابة والانشاء في وقت قصير

هذا ان كان التلاميذ عرباً وان كانوا غير عرب وجب ان لا يعلمهم القواعد الا بعد اتقان القراءة والتكلم باللغة العربية مع فهم ما يقرأونه ، ثم يسير بهم كما سار باخوانهم التلاميذ العرب حسب ما قررناه ، ويجب ان لا يكلمهم ولا يكالموه بغير العربية ليمرنوا عَلَى الفهم والافهام ، ويجب ان تكون طريقة المكالمة كطريقة الاميركان في تعليم لغتهم من لا يعرفها

هذا وقد وفقت الى طريقة سهلة لتعليم النحو في بضع ساعات لمن اراد عَلَى شرط ان يكون فاهماً معاني التراكيب العربية وقد جربت هذه الطريقة في بعض صفوف المكتب الاعدادي فنجحت نجاحاً باهراً وقد دونت هذه القواعد الجديدة المختصرة في رسالة نشرتها في مجلتي «النبراس»

هذا خطر لي الآن من شرح الاهمية التى حازها اللسان العربي في البلاد الاسلامية من حيث الديانة والسياسة والعلم والاقتصاد مع شرح الاسباب التي يلزم اتخاذها لاجل تسهيل تعليم وتعميم هذه اللغة الشريفة في مدة قليلة لدرجة كافية فى مكاتب الدولة العلية العثمانية

الحقوق والشرائع

اصول الاداره المذهبية

« تابع لما قبل »

الدولة العثمانية — • بعد بيان اصول الاجانب فمن المتحتم ان نبحث عن الدولة العثمانية واليك البيان :

قبلت الدولة العثمانية الشكل الرابع • بصورة تامة وعدل مطلق • قبلت لنفسها دينًا واعترفت بوجود سائر الاديان ، اقتداء بقوله تعالى « لكم دينكم ولي دين • لا اكراه في الدين » ولقول نبيه صلى الله عليه وسلم « من آذى ذميًا كنت خصمه • لهم ما لنا وعليهم ما علينا »

والدين الذي قبلته هو الدين الحنيف بمقتضى المادة الحادية عشرة من قانونها الاساسي ومع هذا فقد قبلت بحركات جميع الاديان في ملكها بشرط ان لاتخل حركاتها بالامن العام •

ثم ان السلطان حائز لعنوان الخليفة المعظم وحامي الدين وحامي الحرمين الشريفين

اصول ادارة المذاهب في الدولة العثمانية — • هذه الدولة مركبة من اديان ومذاهب عديدة ولكل منها امتياز قلما شابه الآخر • وسأبحث هنا عن كيفية ادارة هذه المذاهب الواحد تلو الآخر • ومن الله التوفيق

اولاً : ادارة امور المسلمين : محالة من طرف السلطان المعظم الى شيخ الاسلام • وهو يتلو الصدر الاعظم بالتشريفات ويدير مصلحته في العاصمة بواسطة امانة الفتوى والمحاكم وفي الخارج المفتون والحكام • والامور التي هي مختصة به مسائل المناكحات والميراث والوصايا وامر التدريس الديني

واما انشاء وتعمير وادارة المساجد والتكايا والزوايا وباقي المؤسسات الدينية والنظارة عليها فهي من وظائف نظارة الاوقاف • وناظر هذه الدائرة ايضًا عضو في مجلس الوكلاء

واما غير المسلمين فشعبهم اكثر وامتيازاتهم زائدة فلذلك سأبحث عنهم افراداً بعد مقدمة جزئية

ان للجماعات غير المسلمة امتيازات هي فوق حرية المذاهب منحها السلطان محمد فاتح اسطانبول للاروام ومن ثمة اخذ مثلها جميع الطوائف الى حين صدور خط الكلخانة

الذي صادق عَلَى جميع تلك الامتيازات تماما . و بعد ذكر امتيازات العموم اجمالاً نأتي بامتيازات الطوائف افراداً . وهاك اسماء الطوائف التي سأبحث عن امتيازاتها (١) الروم (٢) الارمن (٣) السريان (٤) الكلدان (٥) النسطوريون (٦) اليعاقبة (٧) الافتيموس (٨) اللاتين (٩) الارمن القاتوليك (١٠) قتوليك الروم (١١) قتوليك السريان (١٢) كلدان القاتوليك (١٣) المارونيون (١٤) البلغار (١٥) قتوليك البلغار (١٦) قاتوليك الاقباط (١٧) البروتستان (١٨) اليهود وسيكون البحث بالضرورة مختصراً بقدر ما تحمله مجلة شهرية

وهاك امتيازات المذاهب المعروفة —

اولاً . يحق لكل جماعة انتخاب رئيسها من بنيها ما عدا كنيستي اللاتين كما سيأتي البيان . و بعد الانتخاب يعطى براءة تشعر بتصديق مأموريته . والرؤساء الثانوية تعين من قبل الرئيس الاول

ثانياً — . لما كان الارتباط الاداري مؤدياً لاتحاد الافكار وتقارب القلوب رأت الدولة من الحكمة تعيين رؤساء للجماعات غير المسلمة منهم ومن التبعة كي لا يبقى لهم علاقة مع الدول الاجنبية . واما القاتوليك اللاتين الذين لا يمكن ان يكون لهم رئيس غير البابا[1] فهو مربوط بدائرة مخصوصة وعدَّ كل كنيسة مستقلة بادارتها

وكذلك بالنظر لاقامة رئيس الارمن الاكبر بروسيا بدير ايتشميازين اقامت الدولة لهم بطركاً خاصاً بهم

واما اليهود والبروتستان فهم غير مالكين تشكيلات روحية مثل الطوائف الاخر

ثالثاً — ان لهؤلاء الرؤساء الروحانيين القاب تكريم وآثار تعظيم خاصة بهم . وقد يقبل نظاماً (لا عرفاً) الرؤساء الحائزين برآت عالية ووكلاءهم الرسمية اعضاء لمجالس الادارة ومن الاصول قبول الرؤساء بعد الانتخاب لحضور السلطان المعظم

رابعاً — كل طائفة حرة باجراء مراسم دينها كما تشاء

خامسا — للطوائف حق ادارة الكنائس والديور والمقابر والمستشفيات والمارستانات ودور الايتام الموجودة بدون مداخلة

واما اذا ارادوا انشاء كنيسة او دير مجدداً فيجب تطبيق الاصول الآتية : يقدم استدعاء من قبل الرئيس الروحي الى مأمور الادارة الملكية المحلي . وهذا يجري التحقيقات اللازمة — مثلاً هذا المحل الذي قصد البناء فيه هل مجاور لمعابد الطوائف الاخرى ام لا ؟

(١) عندهم هو وكيل سيدنا عيسى عَلَى الارض

وهل هو لازم للعسكرية ام لا ؟ ثم يبحث عن نوع الاراضي ، فان كانت موقوفة [١] او مملوكة فلا يساغ لهم الانشاء

واما ان كانت ملكاً لهم او ارضاً اميرية فيعمل مضبطة من مجلس الادارة وترسل الى المجلس الذي هو أعلى منه · ثم يؤخذ من الاراضي الاميرية مقاطعة · وبعد التسلسل وصدور الادارة السنية يبلغ الرئيس الروحي ذلك بواسطة نظارة المذاهب · ويجب اتمام هذه التحقيقات بالقائمقاميات بشهرين وبالالوية والولايات بشهر واحد

واما اذا ارادوا التعمير فقط فيكتفي بقرار مجلس الادارة

سادساً — يحق لهم تأسيس المدارس وفقاً لمنهاج نظارة المعارف · والرخصة تكون باسم الرئيس · ويسوغ لهم التدريس بلسانهم · واظن ان هذه اكبر النعم

سابعاً — اذا لزم تحليف الراهب او الحاخام بحضور المحاكم فيحرر تذكرة لرئيسه الروحي وهو يحلفه وتكتفي المحكمة بذلك · واذا اقتضى توقيفهم بناء عَلَى مظنونية فقط فيفرز لهم محل خاص مثل سائر الممتازين · والدستور رفع هذه لانه لم يبق ممتاز · واما اذا حكموا بجنحة [٢] فيوقفون بدائرة مطرانهم ويتبلغون ورقة الجلب بواسطة الرئيس الروحي ·

واما اذا حكموا بجناية ، فيجب اولاً نزع هذه الصفة اي الرهبنة عنهم ثم يجازون كغيرهم

ثامناً — فسخ النكاح وعقده ومسائل الجهاز والمهر والنفقة هي من خصائص الرؤساء الروحيين · والاعلام الذي يصدر يجريه مأمور الاجراء كسائر الاعلامات التي تصدر من المحاكم

تاسعاً — ان كان الوارث صغيراً او غائباً او مفقوداً فرؤية دعاوي التركة عائدة الى المحاكم الشرعية ، وما عدا هذه الاحوال الثلاث فهي من خصائص الرؤساء الروحيين · اما ان حصل اختلاف فيحق للمحكمة الشرعية ان تحل المسألة عَلَى المنهاج الشرعي

عاشراً — تعين النسب واجراء المعاملات الشخصية يتوقفان عَلَى علم وخبر الرئيس الروحي

حادي عشر — الحكم على صحة الوصايا التي لم تحتو عَلَى شروط تغاير الشريعة المطهرة من خصائص الرؤساء الروحيين

(١) قسم قانون الاراضي ارض الدولة الى اقسام خمسة (١) اميرية (٢) مملوكة (٣) موقوفة (٤) متروكة (٥) موات

(٢) قانون الجزاء قسم الجرائم الى ثلاثة اقسام (١) قباحة وهي الى اسبوع (٢) جنحة الى ثلاثة سنين (٣) جناية من فوق ثلاثة سنين

ثاني عشر — اذا اراد غير المسلم الاهتداء بالدين الحنيف فلا يقبل اسلامه حالاً (انظروا الحلم ياناس!) حيا الله الاسلام، بل يبعث به الى ابويه واقربائه ثم الى الرؤساء الروحيين وهؤلاء ينصحون له. فان اصرّ يؤتَ به الى مجلس الادارة ويلقن كلمتي الشهادة

هذه امتيازات الرؤساء الروحيين اجمالاً نلنبحث الآن افراداً ولنبدأ بطائفة الروم في العدد الآتي.

حسني عبد الهادي

رجال التاريخ والسياسة

صادق باشا المؤيد

هو احد الافراد الذين كانت الامة ناهضة بهم وحائمة قلوبها حول اعمالهم العظيمة، وقد انبأ البرق في هذه الآونة بوفاته، فارتاعت لهول هذا المصاب النفوس ووجمت القلوب ولما كان الفقيد ممن يجب تخليد تراجمهم احببنا ان نمثل ترجمته ومآثره للقراء الكرام، ولم نرَ ترجمة اوسع ولا تأبيناً اليق مما نشرته جريدة المفيد، قالت:

أعلمت من حملوا عَلَى الاعواد؟ وهل اتاك نبأ تصطك له المسامع، وترتعد منه الفرائص، ويذوب له الفؤاد كمداً وترحاً؟ ام رأيت كيف خبا ضياء الامة، فعظم الخطب، وكبر الجزع، حتى اصبح لسان الواقع يردد: وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ففي أجل «الخليل»[1] فاضطربت الامة، وفي العين دمع الاسى، وفي القلب جمر الغضا، ونزل القضاء عَلَى «الصادق» وحملت نعشه الملائكة الابرار فاللهم صبراً صبراً فانا اليك راجعون

رحمة رحمة ايها القضاء النافذ بهذه الامة! وحناناً منك! فالمنية عَلَى كفها الجواهر تختار منها الجياد لقد الحطت الامة برجالها وامحلت بعد اخصابها فلا يبتسم ثغرها لفرد منها ساعة

(١) اي خليل باشا حماده رحمه الله

حتى تسيل دموعها اسى عليه بعد ذلك

ذلك شأن الامة بفقد صادق باشا المؤيد فلقد خسرت في شخصه رجلاً كبيراً من رجالها، وكان منها بمنزلة الرأس المفكر والقلب الشاعر والارادة الفعالة . فيالحسرة عَلَى فقده!

ان حياة الفقيد كانت للعمل والنشاط، ففقده سيجعل ثلمة واسعة الفراغ لا يسهل رأبها لان المرحوم يعتبر من رجال الدولة الذين تؤهلهم مزاياهم لاستلام المهام الخطيرة والقيام باعبائها والذين ينتظرهم المستقبل لامر جلل وخطب اجل، فرحمة عليه ولوعة عَلَى فقده !!

وكأن العناية ناقمة عَلَى هذه الامة التي ميزها بخير امة اخرجت للناس، وكأن الباري اراد ان يقرعها بالعظات البالغات والعبر القاسيات حتى يردها الى رشادها ويميلها الى صوابها ويلهمها الرجوع الى مكانتها بالآيات الشديدة، كذلك يشاء الله ولا رادَّ لحكمه

واما الرجل فهو ابن صالح المؤيد العظم ولد في دمشق سنة ١٨٥٨

ودخل في مدرسة بطرس البستاني في بيروت وبعد ان اتم دروسه فيها نقل الى مدرسة اليسوعيين ومنها الى المكتب الاعدادي العسكري في دمشق ثم اتم دروسه العسكرية في المدرسة الحربية في الاستانة ونال شهادته العليا ملازماً ثانياً سنة ١٢٩٩ مالية

وبعدها بسنة تعين ضابطاً لاحد التوابير في كريد ولكن لم يذهب اليها بل عين ياوراً للسلطان السابق وبعد سنة حضر الى دمشق يوزباشياً فتزوج بابنة عمته وعاد منها الى الاستانة وبعدها بسنتين أُرسل الى جعبوب في صحراء ليبيا حيث قضى مهمته عند الشيخ السنوسي في مدة خمسة عشر يوماً وعقب عودته نال رتبة القولاغاسي . ولما تولى غليوم الثاني امبراطور المانيا عرش الامبراطورية أُرسل الى برلين مع منير باشا ليحضر تتويج الامبراطور ولما رجع نال رتبة بكباشي وبعدها بستة سنوات نال رتبة القائمقام وسافر الى الصحراء الكبيرة حيث قابل في الكفرة الشيخ محمداً السنوسي لمأمورية سرية ثم نال رتبة الميرالاي حينما تفشت الكوليرا في الاستانة وحضر الدكتور ايريخ الالماني بامر فتعين صادق بك مصاحباً للدكتور فكان يترجم بين السلطان وبين الدكتور فأنس السلطان من اطلاع المرحوم وحسن القائه في اللغة الالمانية

ونال رتبة الميرلواء عقب رجوع امبراطور المانيا من سفره في فلسطين حيث كان مصاحباً للامبراطور في رحلته

ومنذ عشر سنوات أُحيل لعهدته مد الاسلاك البرقية بين دمشق والقطر الحجازي وكانت نظارة البريد والبرق قدمت تقريراً قالت فيه بعدم امكان مد الخط الا اذا جهزت

حملة عسكرية لا تقل عن اربعة توابير وان يصرف عَلَى الاقل مليونان من الليرات فسافر صاحب الترجمة وقام بمد الخط من دمشق الى المدينه في برهة لا تزيد عن ثلاثة اشهر مصحوباً بحملة مؤلفة من ستين جندياً فقط ومن المال بستين الف ليرة أرجع منها النصف تقريباً الى خزينة الحكومة ولم يتمكن من ايصال الخط الى مكة لمقاومة الشريف عون الرفيق واحمد راتب الوالي الاسبق لان الوالي كان يقبض من الشركة البرقية الانكليزية اربعين الف ليرة و بعد ان اقام في المدينة شهراً وهو يحاول عبثاً مد الخط بين الحرمين صدر له الامر بالعودة الى دمشق ليكون معاوناً لكاظم باشا ناظر انشاآت السكة الحجازية فخدم فيها مدة ستة اشهر حيث نال رتبة فريق وتلقى الامر بان يذهب الى الصحراء الكبيرة بمأمورية سرية لمقابلة السنوسي ولكن لما وصل الى الاستانة وردت الاخبار بوفاة الشيخ المومأ اليه فابطل سفره و بعدها بسنتين عين معتمداً للدولة العليـة في صوفية حيث اقام ثلاث سنوات ادّى في خلالها خدمات تذكر حتى ان الامير فرديناند عيل صبره للسياسة الشديدة التي كان يتبعها في الضرب عَلَى ايدي العصابات البلغارية حتى لم يبق في زمنه الا قليل من العائثين فساداً في مكدونية ولما لم تنجح مساعي الامير في عزل صادق باشا التجأ الى حيلة اسقطته من منصبه وهي انه دعا المعتمد الى وليمة خصوصية ولم يكتب عَلَى ورقة الدعوة انها رسمية فظن الباشا ان الدعوة خصوصية فلبس ملابسه التي هي نصف رسمية فاتخذ الامير ذلك وسيلة فرفع الرسالة البرقية تلو الرسالة الى المابين فاضطر السلطان الى عزله فعاد الى الاستانة وبعدها بستة اشهر ذهب الى الحبشة برآسة الوفد لمقابلة منليك ورجع الى الاستانة وبقي فيها الى ان أُعلن القانون الاساسي فاراد حسين حلمي باشا ان يعينه مراراً في احدى الولايات ومرة ناظراً للسكة الحجازية فلم يتمكن من المقاومة وفي السنة الماضية أنزلت رتبته الى امير الاي حسب تصفية الرتب العامة . ومن بعدها عين متصرفاً لجدة حيث ادى الخدمة حقّ ادائها اما آثاره الكتابية فبلغ عددها العشرين منها رحلتاه الى الصحراء والى بلاد الحبشة

ويحمل صادق بك اكثر نياشين الدولة السامية مع وسامات افرنجيـة يبلغ عددها خمسين ولديه رتبة (رأس) قائد من الامبراطور منليك

ويعرف اللغات التركية والافرنسية والالمانية عدا لغته العربية معرفة جيدة تكلماً وكتابة

اما اولاده فثلاثة الواحدة هي زوج صالح بك مدير القلم المخصوص في النظارة الخارجية والاثنان جلال الدين وله من العمر ١٦ وغياث الدين وله من العمر ١٤ وكلاهما في المكتب السلطاني في الاستانة= رحمه الله رحمة واسعة وعزّى الامة بفقده

أهم الأخبار والآراء

دعوا الاستقراض ايها العثمانيون

اخذت القلم لاكتب واليد مرتجفة والقلب خافق والعين دامعة · والهواجس قد احاطت بي من كل جانب · والاباء قد رفعني الى مافوق السموات العلي وعزة النفس قد حدثتني ان لا ارضى بمقعد النجوم

نار في الفؤاد مشبوبة · وغاز التأثرات يمدها · وزيت الكدر يساعدها · والنفس بين هذا وذاك تتقلب عَلَى الجمر · وتقلى على مقالي الصبر · وكلما اردت اطفائها زدتها سعيرا · وكلما حاولت اخباءها كان شرارها مستطيرا · فكأني اصب عليها الزيت · واحاول اطفاءها بالغاز · فياللمصيبة ويا للداهية ويا للاباء ويا للشرف ويا للغيرة ويا لاهل المروءة ويا لدعاة النخوة

كيف لايحترق الفؤاد وكيف لايدمى القلب وكيف لاتدمع العين وامنا تزدريها الاغيار ويحتقرها من لايودها نجاحًا اجل ان امكم ايها العثمانيون بين صادٍ ورادٍ وبين دافع ومحاول تريد ان ترد الموارد لتبل صداها وتروي غليلها فيمنعها اصحاب الموارد عن الاستسقاء ويردها ارباب المياه عن الارتواء مع ان لديكم الماء وفي صناديقكم المورد فمن العار ان تدعوها تلجأ لشربة ماء الى الاغيار فاين الحمية ؟ واين المروءة ؟ واين ادعاء العثمانيـة ؟ شرف باطل وحمية موهومة ومروءة دنيئة ان لم تردوها الى مواردكم وتنهلوها وتعلوها من مياه كرمكم وجودكم فان للأُم لحقًا في اموالكم يجب ان تردوه اليها · والا كنتم ابناء عاقين

أليس من العار وكل واحد منا يمكنه ان يعينها بقدر مايستطيع ان نتركها تتزلف الى الاجانب وتريق ماء المحيا لأَجل قرض جزئي يسهل علينا ان نجمع اضعافه من ليرة واحدة عَلَى نسبة مجموع الامة العثمانية

قرأت في « الرأي العام » اريحية الاربعين شهمًا الذين بدأُوا هذا القرض بدفع كل واحد منهم ليرة واحدة وتعهدوا بان يجودوا باكثر فطربت لهذا النبأ حتى كدت اطير ، فحبذا لو جاء كل واحد بما يستطيع هذا بعشرين ليرة وذاك باكثر وهذا بريال وذاك باقل وحبذا لو تؤلف في كل قرية ومصر جمعية لهذه الغاية

اما انا كاتب هذه السطور فاني اقدم منذ الآن جميع ماأملكه من العقار وليس لي من غيره ماأملك في سبيل القرض العثماني وتقدر قيمة ذلك بثلثمائة ليرة او تزيد ولوكان لي غيرها لجدت به وانا غير آسف عليه حباً بتعزيز شأن الدولة ورفع مكانة الامة

يجب ان تجمع الاموال وينشأ بها مصرف اهلي يكون له فروع كثيرة في انحاء المملكة فيعين الدولة ويدفع عنها عار الحاجة ومعرة الالتجاء الى الاغيار

ان لكم ايها العثمانيون بالامة الفارسية لقدوة حسنة حينما اخذت ابناءها رجالاً ونساء الحمية ولعبت في رؤسهم خمرة الشرف • فامتنعوا الا عن الضروريات ايام احد الاعياد وامدوا بما كانوا يصرفونه من الاموال دولتهم وابوا عليها ان تمد يدها الى غيرهم

انتم ايها العثمانيون الذين قد استقبلتم الدستور والحرية بالصدر الرحب والقلب الفرح جدير بكم ان تعززوا الدستور وترفعوا من شأن الحرية • فما الحرية الا ان يحيى الانسان حياة طيبة آمناً في سربه سعيدا فى امته • ولا يكون ذلك الا اذا كانت امته مستقلة كل الاستقلال غير خاضعة للاغيار ولا مستكينة في طلب شيء من الاشياء • تلك هي الحرية الصحيحة وذلك هو الاستقلال الحقيقي وما سواهما فهو الاستعباد والاسترقاق

الا وان الامة العثمانية ايها العثمانيون هي تحت نير الديون الماضية وهي تريد اليوم ان تضع في رقبتها قيوداً جديدة واغلالاً شديدة فهلا ابيتم عليها ذلك وفككتم باموالكم اغلالها وحللتم قيودها حتى لاتكونوا عبيداً ارقاء تتلاعب بكم الاهواء وتتنابكم الادواء فتحل بكم البرحاء في الصباح والمساء

اجل انكم عَلَى ذلك لقادرون وبتحقيقه جديرون فهل انتم متنبهون ???

ايها العثمانيون تصرفون قليلاً وكثيراً فلا يضركم لو قمتم اليوم واقتصد احدكم من مصروفه مايحيي دولته ويرفع مكانتها عند الامم وعند ذلك يقال : ان الامة العثمانية امة ذات شعور وحياة لاترضى بالضيم ولا تستكين للذل ولا ترتضى لها مقعداً الا الجوزاء وتحتقر مادون السماء

كفانا ياقوم ثلماً لشرفنا وخرقاً لحرمتنا واهانة لامتنا فما عهدتكم بالباخلين فحقيق بكم ان تعيدوا بكرمكم مجد آبائكم السالفين

فالى التبرع يامعشر العثمانيين واني ادعو قومي العرب ان يكونوا اول المتبرعين عملاً باقوال اجدادهم الاولين

والسلام عَلَى من سمع كلمتي فوعاها فعمل بمقتضاها فان الى المجد والشرف والعظمة منتهاها

القرض الاهلي غير مستبعد

وقد ذيلت جريدة المقتبس مقالنا السابق بقولها : « نستبعد جداً ان تقوم الامة بهذا القرض الاهلي لما نعرفه من قلة المال في الايدي وقلة اعتياد القوم البذل في هذه السبيل وأولى للامة ان تفكر في نفسها وتترك هذه المصالح للدولة فهي اعرف بها منها »اه وقد بعثنا اليها بالعنوان السابق هذا الجواب :

نشر المقتبس مقالي الذي عنوانه « دعوا الاستقراض ايها العثمانيون » ثم ذيله بهذه الجملة « نستبعد جداً ان تقوم الامة بهذا القرض الاهلي لما نعرفه من قلة المال في الايدي وقلة اعتياد القوم البذل في هذه السبيل الخ »

لو قصر المقتبس استبعاده القيام بالقرض الاهلي من جهة قلة اعتياد القوم البذل لكان مستصوباً ووافقه عليه كل احد ٠ لان الشعور الحي الذي نتطلبه لم يدب دبيبه في قلوب الامة كما يطلبه كل عاقل يريد إنهاضها لذلك وجب عَلَى دعاة الامة والمصلحين فيها وخصوصاً ارباب الجرائد ان يربوا في نفوسها تلك العاطفة الشريفة عاطفة الميل الى البذل في سبيل المكرمات واعلاء الشأن ونشر المعارف وغير ذلك من الاعمال النافعة

ولكنه استبعد امكان حصوله من جهة قلة المال في الايدي ٠ وهذا مما لا نوافقه عليه لان المطلوب ليس هو بدرجة ارهاق الامة حتى يبهظها ويجعلها تنوء بعبئه ٠ بل هو من السهل المتيسر لو اعتاد الناس البذل في سبيل ما ينفع الامة والدولة

نحن نطلب ان يكون المبذول ليرة واحدة عَلَى نسبة مجموع الامة ٠ وهذا ممكن اذا وزعت الاسهم بنسبة مالية الافراد ٠ فربما بذل البعض الفاً والبعض مائة والآخر ليرة واحدة وغيره اكثر وهناك قسم لا يتمكنون من دفع شيء فيكون قد تحمل عنهم البذل اولو اليسار واصحاب البسطة من الغنى

وليعلم ان ما يدفع من المال ينشأ به مصرف اهلي يحفظ للباذلين اموالهم ومن احبّ ان ينال ثمرة امواله فله ذلك ٠ فالمال اذاً يدفع في مقابل ثمار يجتنيها رب المال

فخيرٌ للدولة ان تأخذ المال من الاهلين ثم ترده اليهم من ان تأخذه من الاجانب لانها باقتراضها من الاجانب تخسر فائض المال المستقرض ٠ و باقتراضها من الاهلين يبقى الفائض في البلاد فيربحه اصحاب المال الوطنيون

واما دعوى قلة المال في الايدي فلا نسلم بها ابداً لان المال قد زاد في السنين الاخيرة زيادة هائلة حتى في ايدي الفلاحين ومن لا يملكون نقيراً ولا قطميراً فاصبحوا يعيشون

عيش الرفاهية

واما الافراد الذين لا يمكنهم ان يدفعوا شيئًا فهم قلائل بالنسبة لمن يمكنهم ان يدفعوها • ومن يمكنهم ان يدفعوها قلائل بالاضافة لمن يتمكنون من دفع ليرتين وخمس وعشر • وهناك افراد كثيرون يقدرون ان يدفعوا العشرين والمائة فما فوق

هذا رأيي في المسألة واني من القائلين الجازمين بامكان تحقيقها متى حثثنا الامة على البذل • والله يفيض على الباذلين

« **النبراس** » وقد ذيل المقتبس هذا الجواب ايضًا بقوله : « نحن لا نحب ان نشغل الناس بما لا نعتقد حصوله وان هذه الامة باقطارها وامصارها مهما عصرت نفسها وجمعت قوتها لا تستطيع ان تجمع مليوني ليرة تقف بهما الحركة التجارية خصوصًا اذا سافرت تلك الربوات الى المانيا وفرنسا وانكلترا لابتياع اسلحة او تعزيز اسطول والله المسؤول ان يحقق السول »

ونحن نقول في الجواب ما شرحناه من قبل من عدم استحالة قيام الامة بهذا القرض الاهلي واما قوله : « خصوصًا اذا سافرت تلك الربوات الى المانيا وفرانسا وانكلترا لابتياع الاسلحة او تعزيز اسطول • فنقول ان المال المطلوب ليس لهذا فقط بل هو لكل حاجة من حاجيات الدولة ولو كان الامر كما قال المقتبس فان المال المستدان من الاجانب قد اصبح في ذمة الدولة وهو سيذهب الى ما ذكره ايضًا ثم تجبر الدولة على ادائه مع فائضه لاصحابه الاجانب فالحالتان سواء

هذا ولم يكد ينتشر مقالنا في المقتبس والرأي العام حتى اخذ القوم في دمشق وبيروت وغيرهما يفكرون في الوسائل التي تجبى بها الاموال واخذ كثير منهم يتبرعون في سبيل القرض هذا بالف ليرة وذاك بمائة وغيره باقل مما يبشرنا بان هذه الفكرة اصابت قلوبًا صالحة وافئدة طيبة وسنذكر في العدد الآتي نتيجة ذلك واسماء المتبرعين جزاهم الله عن الامة والدولة خير الجزاء

العرب واعداء النفوس

كثرت في هذه الايام الاقاويل في المسألة العربية كثرة حملت بعض الجامدين على الجهر بسوء نية افاضل القوم ووصفهم باوصاف لو تعقل الواصف لعلم انهم براء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب

ان هؤلاء الافاضل من العرب هم ينظرون الى المصلحة نظرة من يهمه رفع شأن الدولة واعلاء كلمتها . ويستميتون في سبيل الدفاع عنها والذود عن حوضها لانها حماهم الاوحد وملجأهم المفرد . وهم يعتقدون من صميم الفؤاد انها امهم الحنون وابوهم الشفوق . فكل ما يصفهم به الجامدون او المراؤون خطأ صريح ومراء ظاهر

« الامة العثمانية جسم واحد » تلك حقيقة لايمتري فيها اثنان ولا يجادل فيها الا مكابر وذلك لايلزم منه ان يستأثر بعض اعضاء ذلك الجسم بالمنافع و يستبد بالمصالح والمرافق وان ينظر الى سائر الاعضاء نظر المسيطر و يعامله معاملة السيد لعبده

ان لكل عضو حقاً لاينكره عليه غيره ، فلو سكت ذلك العضو عن حقه الذي به قوامه اصبح اشل وفقدت منفعته ، واذا صمت عن الجهر بحقه عاد الضرر عليه وعلى بقية الاعضاء ، اذ بذلك تفقد قوة التعاون و يضيع التعادل ؛ والجسد كله خادم لحقيقة واحده وهي النفس ، فاذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الجسد

والامة العثمانية هي جسم مركب من عناصر شتى هي اعضاؤه العاملة . فلو هُضِم حق عضو منه اصبح مريضاً ومرض لذلك سائر الاعضاء ، فان لم تشعر اليوم فستشعر بعد حين ، ولا يدفع ذلك الخطر الا اتحاد المجموع على مداواة العضو المريض لتعود اليه قوته التي يخدم بها نفسه وغيره

ولا مراء بان العنصر العربي اليوم هو عضو مهم في جسم الامة العثمانية ، غير انه مريض فعلى العنصر الذي بيده زمام امر الجسم ان يسعى لمداواته واعطاءه العلاج المقوي لترجع اليه قوته المتداعية ، ومتى فعل ذلك استفاد من هذه القوة لان هذين العنصرين توأمان في المنفعة والغاية ، ولا يمكن ان ينهض احدهما بدون الآخر فالمنفعة مشتركة وفائدة المعونة ثابتة فعلى الاول ان يعين وعلى الثاني ان يعمل

يتوهم كثير من الجامدين ان الصياح من افاضل العرب هو لاجل الوظائف وهو وهم في غير محله ، وانما صياحهم لتعزيز لغة القرآن والاعتناء بها اعتناء يجعلها في مركزها السامي الذي اعدّه الله لها ،وهم يبذلون الجهد لحمل الدولة على صيانتها واحلالها المحل الارفع لتكون هي واللغة العثمانية سواء ، لان العثمانية ان تكن لغة الدولة فالعربية لغة الدين ، ولو تنبه المجلس لسعى لجعلها لسان المشيخة الاسلامية والقضاة الشرعيين باعتبار انهم ممثلو الشريعة وقائمون باحكام القرآن

انما يريد هؤلاء الافاضل ان يكون الحكام الذين يرسلون الى البلاد العربية عارفين بلسان اهاليها

وعاداتهم واخلاقهم سواء كانوا عرباً او تركاً او غيرهما ليتمكنوا من الجري في ميدان العدالة وانصاف المظلوم من الظالم

انما يريدون ان تكثر الدولة من المدارس في بلادهم وتعتني بها اعتناءها بالمدارس في بلاد اخوانهم حتى يعم العلم ويكثر المتعلمون

انما يريدون ان يكون نصيب قومهم من البعاث الى اوربا كنصيب اخوانهم

انما يريدون ان تتجلّى المساواة بأكمل معانيها واتم نتائجها وابهر مظاهرها

فهل من يصيح لاجل هذا يُعَد مفرّقاً او متهوراً او متهوساً او غراً او او ٠٠٠٠ الخ

نعم انا لااقول ان الحق في جانب العرب من كل الوجوه كما لااقول ان الخطأ كله عَلَى القابضين عَلَى ازمة الامور ، بل اقول ان العرب مخطئون في عدم احصاء نفوسهم حتى يكثر مبعوثهم ، ولو سعوا لذلك سعيه لنالوا بواسطة نوابهم ما يريدون ولم يكن هناك احد يناوئهم او يعاكسهم

انا لاالوم حزب الاكثرية ان سعى لمنفعة قومه وجعل رجال الحكومة ممن ينتمي اليه ، فان هذا هو الشأن في كل المجالس النيابية في العالم وهو حق له صريح لا ينازعه فيه منازع ولا يقاومه فيه مقاوم ، بل الوم العرب انفسهم القاعدين عن احصاء نفوسهم وتكثير سواد مندوبيهم

وليعلم انه لايحق لنا الكلام ولا ننال مانرغب فيه ونسعى اليه اذا لم تكن الاكثرية في جانبنا ولا نتمكن من ذلك مالم نحصِ نفوسنا فعلينا باحصاء النفوس وبذل الجهد في هذه السبيل ، وعَلَى الكتاب وارباب الصحف ان يتابعوا البحث وحث الناس عَلَى اظهار المكتوم من الاشخاص

لاابالغ اذا قلت ان المكتوم من النفوس يعادل المظهر منها او يزيد خصوصا في القرى والمزارع فان القرية الكبيرة التي تحتاج اراضيها الى خمسمائة رجل عَلَى الاقل لتقوم بفلاحتها واحتياجها ليس في دفتر النفوس من اهلها سوى خمسين او ستين نفساً في الاكثر ، هذا عدا المدن التي فيها من النفوس المكتومة شيء كثير

فعلينا ان نحمل الحكومة عَلَى احصاء النفوس وعليها ان تسعى لذلك وان تضرب جزاء كبيراً عَلَى المختارين والاهالي اذا لم يسعَ الاولون للبحث عن المكتوم ولم يظهر الآخرون من لم يقيد من اولادهم او اخوانهم في دفاتر الاحصاء

ولا بد قبل هذا من ارسال الناصحين المرشدين الذين يبينون للناس فوائد احصاء النفوس ووخامة عاقبة اهمال هذا الامر المهم ، وان يقلعوا من نفوسهم ذلك الاعتقاد السيء

وهو خوفهم من الجندية ، وان يفهموهم انها سلك شريف لانها رده الامة وسياج الدولة ، وأنها اصبحت اليوم في حالة طيبة ، وصار رجالها في عيشة راضية ، الى غير ذلك من الحقائق الراهنة = وان خافوا من الضرائب والمظالم بسبب احصاء نفوسهم فليفهمهم الناصحون ان الضرائب القانونية هي عادلة ومفيدة لهم وللدولة وان المظـالم قد ابادها الدستور وقضى عليها العدل فلا خوف عليهم من هذه الجهة

ومتى أُشربوا هذه المبادىء سهل احصاء نفوسهم ومتى أُحصيت النفوس وكثر النواب منا فهناك يكون لنا الصوت العالي والكلمة النافذة وهناك تضطر القوة الاجرائية الى اكثار دور العلم بيننا وارسال البعثات منا

فالى احصاء النفوس ايتها الامة ! والى الخوض في هذا العبـاب ايتها الجرائد ! والى ميدان البحث والحث ايها الكتاب ! فان في ذلك محجة الصواب وفصل الخطاب

سوء التفاهم بين العرب والترك يجب ان يزال

ذكرت الاهرام ان جمهوراً من العثمانيين في مصر اجتمعوا في احد الفنادق لوداع الاستاذ سليمان افندي البستاني نائب بيروت في مجلس الامة والرئيس الثاني في المجلس ، ونحن نلخص لقراء النبراس من آثار هذا الاحتفال ما يتعلق بما عنوناه ، وكان فيمن خطب رفيق بك العظم ونائب بيروت والسيد محمد رشيد رضا وغيرهم

وقف رفيق بك العظم الذي صرف حياته في الجهاد في سبيل الحرية والدستور فافتتح كلامه بقوله « ان داود افندي بركات وصف لنا هذا الاجتماع بالاجتماع الاخوي وانه لم تعدّ له الخطب السياسية . ولكن اي اجتماع سياسي اكبر من هذا ونحن نحتفل بنائب كريم ينوب في مجلس المبعوثان عن ٥٠ الفًا من ابناء سوريا . كلا ان هذا الاجتماع سياسي والمجتمعين هم من اكرم ابناء الامة وارقاهم فالواجب ان نبسط فيه لمبعوثنا الكريم كل ما يخالج صدورنا من شكوى واماني طالبين منه ان يقوم بالواجب عليه . ثم التفت الى العلامة البستاني فقال : ان العرب مهضومة حقوقهم في الحكومة وبعض الشبان من متولّي امور الحكم في الاستانة يبخسونهم حقوقهم ولغتهم ممتهنة مضطهدة . ولا اتهم ببخس حقوق العرب الامة التركية كلها فان الاتراك يحبون العرب ويجلونهم والعرب يحبون الاتراك ولكن بعض ذوي المراكز في الاستانة هم أصل الشر . فالواجب ان يفهموا انا لا نصبر على هـذا

الضيم لانه يهمنا ان تحيا الدولة لان الترك بلا العرب تزول دولتهم والعرب بلا الترك يؤكلون ويهضمون فحياة الدولة تهمنا وتهمهم عَلَى حد سواء . وهذا الامر ادركه عقلاء العرب وسعوا اليه بكل جهدهم . فلماذا لايقابل مسعاهم الحميد بمثله ، بل لماذا لايكون منا وزير ولا تحترم لغتنا، ولا تؤخذ آراؤنا في مدارسنا ويُقصى عن المناصب نوابغنا . انا نعرف ان وجودنا موقوف عَلَى وجود الدولة ووجود الدولة موقوف عَلَى وجودنا فلهذا ارجو من مبعوثنا الكريم ان يبذل كل جهده في هذه السبيل

منذ ايام قامت فتنة في حوران فقام جميع عقلاء العرب ينصحون باخمادها فكان مآل ذلك في جريدة طنين ان تقول لنا انه ارسل الى سوريا عشرة آلاف عسكري ليلقوا «دوشًا» بارداً عَلَى البلاد السورية المحتاجة الى ذلك . فمن يطيق عَلَى ذلك صبراً . ايظنون ان عشرة آلاف عسكري ترمي «دوشًا» بارداً عَلَى بلاد العرب البعيدة خمسة آلاف ميل عن الاستانة . افلا يرون الامام يحيي يغار عَلَى تأييد الامن والى جانب بلاده الادريسي يحذو حذوه الا ينظرون الشريف حسينًا يسير بقوة من العرب لضرب ابن سعود الامير العربي . الا يسمعون صوت عقلاء العرب خارجًا من كل صدر ومن اطراف العالم كله داعيًا الى الاخاء الى السكون الى تأييد الدولة الى تأييد الحكومة الدستورية . انا لانطيق الضيم بل لانسمح لباذري بذور الشقاق بالتمادي، لانا نريد الدولة قوية مصلحة ،لانا نريد ان نحيا — وعَلَى هذا المنهاج كان كلامه — فوقف الدكتور يعقوب افندي صروف صاحب المقتطف فقال: ان معتقدي كان كمعتقد اخينا رفيق بك حتى قابلت اليوم العلامة البستاني مندوبنا الكريم ففهمت منه الحقائق وانا واثق بانه لم ينقل لي غير الحق فاذا كان العرب قد حرموا الوظائف فلانهم لم يسيروا في سلك التوظيف وان كان قد بدر من بعض كتاب الاتراك ماآلم العرب فذلك ليس رأي القابضين عَلَى ازمة الامور بل ان رأيهم عكس ذلك تمامًا وهم لا يرسلون الى بلاد العرب موظفين يجهلون العربية وهم لايخالجهم الشك باخلاص العرب للدوله وقد اعطونا الدستور ليؤلفوا حكومة ترقي الجميع . واذا نظرنا الى تعدد المذاهب واللغات والاجناس في بلاد الدولة ظهرت لنا صعوبة المهمة الملقاة عَلَى عواتق متولي الحكم فالواجب ان نعاونهم بالنصيحة ومحو سوء التفاهم ونساعدهم عَلَى ادماج جميع العناصر والطوائف حتى تصح الجامعة العثمانية . ثم اطال فاجاد كل الاجادة وصفق له الحاضرون استحسانا . فعاد رفيق بك الى غرضه من اقواله فقال انا نطلب ازالة سوء التفاهم حتى نكون جميعًا شركاء في انهاض الدولة وان العرب جميعًا يتمنون اكثر من الاتراك قيام الدولة ونهوضها وهناك منافسة اوجدها بعض ضعاف الاحلام في

الاستانة يجب ازالتها

فوقف الاستاذ البستاني وشكر الحاضرين عَلَى حفاوتهم به الى ان قال « انني لم اكن عَلَى استعداد للمناقشة بهذا الموضوع بل كنت انوي ان ابسط لكم ماعملناه في سنتين . ولكن اخي وصديقي رفيقاً بك الذي اعرف اخلاصه وجهاده في سبيل الحرية وخدمة الدولة فتح باباً سرني فتحه لنتفاهم ونزيل كل ماعلق بالاذهان،فقبل كل شيء اقول لكم عن ثقة ويقين ان قولهم ان بين رجال الحكومة من الاتراك قوماً يكرهون العرب او يضطهدونهم هو وهم باطل اختلقه بعض اصحاب الاغراض والمفاسد فالاتراك عموماً ورجال الحكومة منهم خصوصاً يحبون العرب ويجلونهم ويعتمدون عليهم في تأييد الدولة ولا يضطهدون اللغة العربية بل هم على عكس ذلك يؤيدونها . والدليل عَلَى صحة قولي هذا انه قد تقرر ان يكون تعليم اللغة العربية اجباريا في جميع مدارس الحكومة

ثانياً انه تقرر ان لايرسل الى بلاد العرب موظف تركي لايعرف العربية ومع ذلك فالموظفون في الولايات العربية اكثريتهم المطلقة من ابناء العرب ففي احصاء الموظفين في ولاية بيروت وجد أن سبعة بالمئة فقط من الاتراك . ثالثاً ان عماد الدولة هو الجيش وهذا الفيلق الثالث في البلقان لحماية الدولة بل هو سياجها يقوده رجل عربي صميم وهو عبد الهادي باشا . وهذه حملة حوران يقودها عربي صميم هو الفاروقي سامي باشا وهؤلاء كبار الضباط واركان الجيش هم من العرب فلو انه كان هناك شك ضعيف باخلاص العرب أكانوا يُسلّمون قوة الدولة ؟

خامساً ان في منصب وزارة الاوقاف حيدراً باشا وهو عربي من اشراف مكة . ولما سافرت من الاستانة الى بيروت كان معي في الباخرة قائمقامان عربيان لاكبر القائمقاميات وهذا والي البصرة عربي وسفير باريز عربي ويعين بعض القناصل من العرب . فاذا كان عددهم قليلاً فسبب ذلك انهم لم يدخلوا السلك قبلاً والآن قد دخل الكثيرون المدارس الملكية وسواها . فاذا أنهوا دروسهم عينوا بالوظائف . وستكون لنا مدرسة كلية للبنات برئاسة رضابك رئيسنا خصص لها مائة الف جنية وستنشأ مدارس للبنات عَلَى نمطها في جميع امهات المدن العربية . وستؤلف لجنة مخصوصة للنظر في تعليم اللغة العربية في كل انحاء الدولة،فانا اؤكد لكم انه لايوجد ظل لما تتوهمون . وزد عَلَى هذا ان للعرب الآن في مجلس المبعوثان ٧٢ نائباً وكل واحد منهم اكبر نفوذاً من الوالي بل هو مسيطر عَلَى هيئة الحكومة كلها فالواجب علينا جميعاً مؤازرة الحكومة الدستورية في مهمتها حتى لايكون هناك طوائف

في مملكة بل امة عثمانية واحدة . والذي أخر سير الدستور قليلاً هو ان الذين احدثوا الانقلاب ارادوا اظهار تنزههم عن الوظائف فتركوا الامر بيد غيرهم فحدثت تلك الفتنة المشؤومة ولو انهم قبضوا عَلَى ازمة الامور من اليوم الاول ماحدث ذلك واذا سألتموني ماذا فعلتم في سنتين اجبتكم انافعلنا كثيراً جداً لانه لم يكن عندنا شيء . ولما زار رئيس مجلس نواب انكلترا الاستانة ووقف عَلَى ماعملنا قال لنا : « ان ماعملتموه في سنة واحدة عمله مجلسنا في عشرين سنة »

هذه بعض اقواله التي قابلها الجمهور بالاستحسان وكان قد ذكر حضرة العلامة السيد رشيد رضا صاحب مشروع دار العلم والارشاد وارتياح الاتراك الى مشروعه وهو لايدري بانه وصل امس وحضر الاجتماع فوقف السيد رشيد واخذ يؤكد ان هناك سوء تفاهم بين العرب والترك لايجب انكاره . بل يجب اظهاره للهيأة الموجودة هنا وهي ارقى الهيئات العثمانية فاذا كان الاستاذ البستاني يقول للعرب انه لايوجد شيء فاني سمعته في الاستانة يقول للصدر الاعظم « انتم مقصرون بحق العرب » فهو باعتداله خير من يسكن القلوب المتحمسة من الجانبين ولا نكران ان بعض ذوي الاغراض في الاستانة هم سبب هذا الشر حتى قال لي اكبر صدر عظيم في الاستانة مرة ان بعض الشبان اوصلونا الى درجة من سوء التفاهم حتى اني اذا قمت لمعانقتك قالوا انا تواثبنا للعراك . ثم ذكر نساء الاستانة ورقيهن فقال انهن ارقى نساء الشرق خلا طائفة من النساء السوريات

فاجاب البستاني ان الفرقة التي تبذر بذور الانقسام يجب علينا ان نتعاون عليها وابواب الشكوى مفتوحة والمطالب واسعة حتى نسحق تلك الفئة سحقاً (تصفيق)

المكاتب السلطانية الحديثة واللغة العربية فيها : رأت نظارة المعارف ان تنشيء مكاتب سلطانية جديدة في بعض الولايات كبيروت وحلب وازمير وسلانيك واستانة وغيرها . وجعلت رواتب المعلمين فيها كافية وافية ، وقد طلبت اثني عشر معلماً للعربية في هذه المكاتب وخصصت راتب المعلم بالف وخمسمائة قرش صحيح (صاغ) عَلَى ان ينال المعلم الوظيفة بالامتحان ، وقد كان عدد من ادّى الامتحان في تلك الولايات ما ينيف عَلَى اربعمائة طالب ، وكان منشيء هذه المجلة احد الفائزين فعين للمكتب السلطاني في بيروت ، وهذه ترجمة التلغراف الوارد من نظارة المعارف لمديرية معارف بيروت بهذا الشأن :

تعين مصطفى افندي الغلاييني الذي تبينت اهليته بالمسابقة الامتحانية التي جرت لمعلمية الدرس العربي في المكتب السلطاني بمعاش الف وخمسمائة قرش فيقتضي ان يباشر بوظيفته حالاً